

أصول العلوم الجيوسياسية

إعداد: شيراز محمد خضر

تعريب: فريق دار الأكاديمية للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

2022

أصول العلوم الجيوسياسية

الوحدة الأول

من الضروري أن تكون جيوسياسياً!

إن مصطلح " السياسات الجغرافية" يعد زلقاً؛ فقد يكون، من حيث الفكر، إشارة إلى مناطق جغرافية متنوعة من العلاقات الدولية، وغالباً يستخدم للاستدلال على نهج الرئاسة الصعب عالمياً في العموم، وقد يكون طريقة للنظر والتصرف تركز على العلاقة المتبادلة بين الأراضي والموارد، والإمكانية الاستراتيجية، دون إغواء المفاهيم المثالية لما ينبغي أن يحدث. كانت "السياسات الجغرافية" للعديد من مستخدميها واقعية، وحتى ساخرة، حول الدول والنظام العالمي. حينما حَثَّ روبرت ستروس هيوب، المؤسس اليميني لمعهد أبحاث السياسة الخارجية في الولايات المتحدة، قرائه في عام 1941 بأن: "من الذكاء أن تكون جيوسياسياً"، كان يديم هذا الوهم الفكري الجزئي. بعبارة أخرى، معرفة المواطن كانت جيوسياسية مريحة حسب الفكرة التي جعلت العالم ينتشر حول السعي لتحقيق المكاسب الإقليمية/الموارد. هذا النداء كي تكون جيوسياسياً، يكون أيضاً لتعزيز ودعم المنظور الدولي إثر دخول أمريكا إلى الحرب مع اليابان، وألمانيا لاحقاً.

في أوقات الحروب والأزمات، ربما لا نندهش من التركيز على الموضوعات الإقليمية والمتصلة بالموارد التي تلوح في الأفق. في السنوات الأخيرة، قد شغلت الصحف

وشاشات التلفزيون، والمواقع الإخبارية على شبكة الإنترنت بقصص عن النضالات الإقليمية العرقية في الشرق الأوسط، والتآمر على الموارد في المحيط القطبي، الشمالي والجنوبي، وشراء الأراضي في أفريقيا، وانعدام الأمن الغذائي، وبرامج التقشف في جميع أنحاء العالم. ولا تزال مشاعر القلق في ازدياد من نقص الموارد والضغوط السكانية، بطريقة تذكرنا بمخاوف، في وقت سابق، عن "قنبلة السكان الموقوتة" في أوائل السبعينات. فلا عجب، ربما، تلك "السياسات الجغرافية" تتمتع بنهضة. كل ذلك يبدو بعيداً عن التسعينات، فحينما كان يتنبأ البعض بانتشار عالمي للديمقراطية، وانتصار رأسمالية السوق، والعولمة الثقافية، حتى بعض اقتراح أن "السياسات الجغرافية" من المرجح أن تكون زائدة عن الحاجة، فإن هجمات 11 سبتمبر عام 2001، والحرب اللاحقة على الإرهاب، قد هزت بعض تلك الثقة السائدة، والأزمة الاقتصادية من عام 2007 حتى 2008 فصاعدا، مجرد دعم الشعور بعالم مضطرب. ولكن من الضروري، أيضاً، الأخذ في الاعتبار بأن العديد من الأماكن والشعوب الأخرى متورطون في "السياسات الجغرافية"، وبعضهم بالكاد أخبروا عنها أو علقوا عليها من قبل وسائل الإعلام الناطقة باللغة الإنجليزية السائدة. إحدى الأمثلة على ذلك، قد تكون جمهورية أفريقيا الوسطى، التي وصفت بأنها على وشك "الإبادة الجماعية"؛ لأنها لا تزال في قبضة العنف، الرسمي وغير الرسمي، والتي تتضمن أحد أسياد الحرب الأوغندي، جوزيف كوني.

أريد تغيير ذاك التجنيد المبكر لـ "من الضروري أن تكون سياسي جغرافي". لا أحد يحتكر الدهاء، وعلى الرغم من أننا قد نختلف حول ما هو ضروري وما هو ليس كذلك، فإني أعتقد بأن هناك قيمة كبيرة في القدرة على التفكير بشأن العالم وفقاً لشروط السياسة الجغرافية. لكن في القيام بذلك، أريد أيضاً أن أشدد على أن

السياسة الجغرافية بقدر ما هي بارزة ودرامية (على سبيل المثال: سياسة إدارة أوباما لمتابعة الأهداف الإرهابية البارزة في باكستان واليمن، انظر الشكل 1) بقدر ما هو الحال يومياً، السائد والدنيوي على ما يبدو (على سبيل المثال: الأطفال الذين يتلون عهد الولاء في الفصول الدراسية، في جميع أنحاء الولايات المتحدة).

إذا ما استمرت السياسة الجغرافية في الاستئناف، فإنها تفعل ذلك لأنها تقدم وعداً. وعد "بوجهة نظر العالم" حيث تتكشف الأساسيات، والتي يتم ترتيبها بالتفاصيل الدنيوية والبديهية. هدفي في هذا الكتاب، جزء كبير منه، القول بأن الدنيوية والبديهية "تزودنا" ببعض الرؤى الأساسية في كيفية عمل "عالمنا".



1. الرئيس أوباما وزملائه، ويتضمنهم وزيرة الخارجية هيلاري كلينتون، يترقبُ الأسر الفوري لأسامة بن لادن (وموته الفوري) في باكستان.

نحو فهم الجغرافيا والسياسة الجغرافية

ماذا تعني بالضبط السياسة الجغرافية؟ إذا بحثنا عن مصطلح "السياسة الجغرافية" في جوجل، سنجد الملايين من المضاربات في آن واحد. أي شخص شجاع أو ربما أحمق بما فيه الكفاية لخَوض تلك الإشارات المحتملة، ولو حتى جزء منها، سيجد أنها لا تُظهر أي حكمة، بالضرورة، فيما يتعلق بتعريف مطلقٍ للسياسة الجغرافية. على حد تعبير المنظر الاجتماعي مايكل مان، السياسة الجغرافية، مثل معظم المصطلحات التي جذبت انتباهاً أكاديمياً، زلقاً. في أكثر الأحيان، يتم استخدامه من قبل الصحفيين، والمثقفين المحافظين سياسياً، والنقاد، مثل: توماس بارنيت من مجلة اسكواير، وتوماس فريدمان من صحيفة نيويورك تايمز، أو وزير الخارجية الأمريكي الأسبق هنري كيسنجر. وكمصطلح مختصر، يهدف نقل قوة الموقف من العمل السياسي باستخدام النماذج الجغرافية الممنوحة مثل: "محور الشر" و "بؤر الاستبداد". بدلا من اتخاذ تلك المصطلحات الممنوحة (أو خداعهم ببساطة)، فمن الأهمية بمكان أن نستكشف أنواع العواقب التي تتبع تقسيم العالم إلى مناطق معينة.

اسمحوا لي أن أبدأ من خلال معالجة ما المقصود من مصطلح "الجغرافيا" قبل الانتقال إلى السياسة الجغرافية. الجغرافيا مصطلح أكاديمي متنوع وحقل شعبي لكثير من الناس، بالأخص أولئك الذين ليسوا من خريجي الجغرافيا، هناك ميل إلى التركيز إما على المناطق المادية الجغرافية للأرض (مثل: سلاسل الجبال، والممرات البحرية، والأنهار، وهلم جرا) أو تصنيفات مثل: المسافة والإقليم. قد يفكر البعض

أيضاً مباشرة في موضوعات مثل: الخرائط والرسوم البيانية عندما يتعلق الأمر بتقييم "الجغرافيون".

ومعلقون آخرون سيخبرونك بأن الجغرافيا حول تخطيط كيفية المناخيات والبيئات التي تحدد على نحو أساسي المجتمعات البشرية. فإنه لا يزال من غير الشائع، على سبيل المثال، قراءة تلك التلال والأنهار والسواحل والبحار والجبال، وشكل الهويات الشخصية والجماعية، والممارسات، والأيديولوجيات.

وجهة نظري تتمثل في ادعاء هذه الأشياء، فحتى إذا كان لديهم أي نوع من الجدارة الثقافية، أن يتم تحويل الجغرافيا إلى التضاريس الطبيعية مع سلطات استثنائية لتشكيل الممارسات الإنسانية، فثمة نوع خام من الحتمية البيئية ثم ما يسود. الشعوب القبلية التي تعيش في اليمن، على سبيل المثال، ومقاومة محاولات تنظيم تحركاتهم بسبب بيئتهم الجبلية جعلتهم على هذا النحو. ذهلت، مراراً وتكراراً، كيف تعد الجبال، في عمل معين، عاملاً تفسيرياً في هذا السياق. الجبال تصنع الناس، وعلى هذا النحو يمكن تفسير، وحتى التنبؤ، بالتاريخ البشري، أو قد يتسنى إنتاج قصة ما. في الأسوأ، هذا النوع من الحتمية يمكن تعبئتها من قبل الآخرين خارج تلك الأوساط المعينة للتبرير، وفي حالة اليمن سلسلة من السياسات المصممة لتقليل الاتصال المباشر مع هذه "الشعوب القبلية". استخدام الطائرات بدون طيار، على سبيل المثال، يبدو أنه تواطؤ مثالي لاتصال مباشر مع هذه المناطق الجغرافية الغير مستقرة. ما قد يتغيب كيف أن المجتمع اليمني معقد، كالعديد من الآخرين بغض النظر عن البيئات الجغرافية.

لكن السياسة الجغرافية توفر سبل النظر إلى العالم، التي غالباً ما تبني وجهة نظر مبسطة من الجغرافيا. الخرائط، والجداول، والصور، يمكن أن تلعب دورها في

التبسيط، وحتى المصطلحات الصوتية البريئة ظاهرياً مثل قلب المنطقة، محور، قوس، والمناطق الحدودية، تفعل ذلك.

تقدم السياسة الجغرافية بالنسبة للكثيرين دليل موثوق (اقرأ الهدف) عن الساحة العالمية باستخدام الأوصاف الجغرافية، الاستعارات، وقوالب أخرى، مثل تلك المذكورة أعلاه، لكن أيضاً العديد من الآخرين على مدى العقود مثل "الستار الحديدي"، "العالم الثالث"، و/ أو "دولة مارقة". كل من هذه المصطلحات جغرافية بطبيعتها بمعنى أن الأماكن (بدلا من الفضاءات) التي تم تحديدها وصفت على هذا النحو. من ثم، يساعد على توليد نموذج بسيط من العالم، والذي يمكن استخدامه لتقديم المشورة، وعملية صنع السياسة الخارجية والأمن.

قد يكون هنالك طريقة أخرى لرؤية السياسة الجغرافية والجغرافيا. نقطة بدايتي المفضلة التفكير في أن الجغرافيين بمثابة شيء مصنوع ويتم إعادة تشكيله. الجغرافيا، تبعاً لعلم الأصل اللغوي، شكل من أشكال الكتابة الدنيوية، ونشاط يسلط الضوء على قوة الوكلاء والمنظمات للكتابة عن الفضاء، لاحتلال الفضاء، ولتنظيم الفضاء، وخلق أماكن يتم استثمارها مع رؤى ومشاريع معينة. الجغرافيا، في هذا السياق، دائماً في حالة من التحول وليس مجرد شيء "ثابت"، مثل المدى الجبلي الذي تبين أنه يكون أي شيء، ولكن "ثابت" كما فهم الجغرافيين الطبيعيين والجيولوجيين فهماً جيداً. أرى الجغرافيون كاستراتيجيين بشكل متأصل، موضوع لكل من التدخل البشري والاختراع، ولكن أيضاً قابلاً للتمكين، والإحباط، والجسارة، والعرقلة، من قِبَل القوات والعمليات الدنيوية، مثل: الطقس، التلوث، الجليد، الأنهار، وتيارات المحيط.

إن الهدف هنا في إظهار كيف تستخدم السياسة الجغرافية، وما عواقب ذلك، وفي الحياة اليومية على وجه الخصوص. العديد من الكتاب الجيوسياسيين يأخذوا الساحة العالمية كنقطة انطلاق، وتظل منشغلة مع ما يمكن أن نسميه "السياسة العليا" مثل الحرب، والدبلوماسية، وفن الحكم. محملة بـ "رؤية الله للعالم"، والخرائط المرفقة. إن العالم الذي يجري وصفه أحد الحتمية البيئية ومركزية الدولة، ومن المرجح أيضاً أن يكون أحد بعض الجهات الفاعلة والعوامل المأخوذة أكثر لتحديدها؛ صعود الصين، وتراجع الولايات المتحدة، والربيع العربي، الذروة النفطية، وهكذا. في حين أن كل هذه الأمور ذات أهمية في تعريفاتهم، يمكن أن تصبح تجريدية سريعاً بل بلا جسد، والاهتمام بالعلاقة المتبادلة المعقدة بين الناس والمؤسسات والأماكن. الصين قد "ترتفع" ولكن "ترتفع" لماذا وأين؟ هل الجميع في الصين "يرتفعوا" بالنظر إلى أنه في الماضي تم الاعتراف بأنها واحدة من أكثر الحضارات تقدماً في العالم؟ هل الصين ببساطة وحدة جغرافية معينة تقع في شرق آسيا، أو شيء من هذا يتجلى بقدر ما يصل من الشبكات والموضوعات كالدوائر التجارية والسلع الإلكترونية، بدلا من اتخاذ تدابير بسيطة كالقوة البحرية ومستويات الاستثمار الأجنبي المباشر؟

من ثم، تشكل كيفية الوكلاء، والأشياء، والعلاقات التي صنعت السياسة الجغرافية كشرط أساسي لهذا المؤلف. لا أفترض أن العوامل الجغرافية تُحدد ببساطة، بدلا من ذلك، أسأل كيف يصنع الجغرافيون هذه المسألة؟ إن مفهوم خيال الجغرافيين والجيوسياسيين قد يكون من المفيد في هذه المرحلة، ويعود بالغ الفضل لكتابات المفكر الفلسطيني الأمريكي الراحل إدوارد سعيد. في كتاباته العديدة بما في ذلك كتابه المستشهد به كثيراً "الاستشراف" (1978)، اهتمام سعيد الجوهري تمثل في

كيف كانت "الأماكن"، وكيف تستمر إلى أن تُصور، ويتم تمثيلها في الفن والأدب والموسيقى، ولاحقاً، في مجتمعات صنع السياسة الخارجية الغربية. بصفته مدافع ملتزم عن الدولة فلسطينية، قال أنه كان حساساً للغاية لكيفية فَهم المجتمعات كالفلسطينيين أو العالم العربي على نطاق أوسع؛ ففي كثير من الأحيان التعريفات تكون إطرائية، غير مستقرة، تهدد، و/أو غريبة. هذا يعني اقتراحه بأن التفاهمات الثقافية والسياسية المعينة للمكان والمجتمعات يمكنها حشد صناع السياسة والرأي العام، بطرق قد تكون مناقضة لتحقيق مشروع مجتمع فلسطيني مستقل. كتب سعيد لمعظم حياته في الولايات المتحدة الأمريكية، وكان شديد القلق من وسائل الإعلام السائدة في هذه الدولة، اللامتعاطفة مع محنة الفلسطينيين، والمرجحة لاعتبارهم حفنة من الإرهابيين، بدلا من اعتبارهم جزء من أناس تم طردهم وحصروا في مخيمات لاجئين، ومواطنين إسرائيليين منزلتهم من الدرجة الثانية في بعض الحالات، أو مثله، جزءاً من شتات أوسع. إذا فُهم الفلسطينيين من قبل تعريفات الإطراء لأصبح أسهل للآخرين، كأنصار إسرائيل المؤيدين لتهميش محاولات استدعاء الانتباه؛ لاستمرار احتلال إسرائيل للضفة الغربية، أو النتائج المترتبة على الجدار الأمني الذي أقامته إسرائيل. هذا لا يعني أن دولة إسرائيل لا تعتقد بأن لديها أسباب لمشاريع ذات صلة بالأمن، بل السؤال عن كيف وأين تدعم هذه المشاريع من الخيال الجيوسياسي (والمرافق للممارسات الأمنية)، والذي يختلف كثيراً عن الفلسطينيين.

تمثيل الجغرافيين يساعد على إبلاغ فهم العالم، وبهذا المعنى نحن جميعاً منظرين للسياسة الجغرافية. تفاهماتنا وتجاربنا السياسية الجغرافية تختلف اختلافا جذرياً. نشطت الباحثات النسويات في إبراز كيف أن هذه التفاهمات والخبرات جنسانية. حتى عندما تعلن الدولة، على سبيل المثال، "حالة الطوارئ" فالعواقب بالنسبة للرجال والنساء ستختلف، على سبيل المثال، النساء المحتجات في خضم احتجاجات القاهرة في عامي 2012 و 2013، وجدت أن قوات الشرطة والأمن كانوا ينفذون الفحوصات النسائية من أجل تقييم ما إذا كانت النسوة "طاهرات". الاستدلال الراهن بأن النسوة المعارضات وضعهن لا يتفق مع وجهة النظر الجيوسياسية العالمية للدولة المصرية ونخبها، كانت رؤية غير سليمة، مضللة، وتالفة. العنصرية والعرقية يمكن أن تكون علامة أخرى قوية على الاختلاف والجنس. لكثير من الناس السود والآسيويين، خاصة على مدى العقد الماضي أو نحو ذلك، والخوف من الإرهاب يعني أن أجسامهم وسلوكياتهم تصبح محل تدقيق عن كثب من نظرائهم البيض. لكن حتى ذلك الحين هذا لا يفسر كيف أثرت تقنيات أمن المطار المشددة على الآخرين مع وجود اختلافات جسدية، مثل أولئك الذين قد يكونوا صم أو يعتمدوا على الأطراف الاصطناعية. الحياة الجنسية يمكن أن تكون أيضاً علامة للارتياب، كما هي. مجتمعات المثليين والسحاقيات قد تشير إلى حقيقة أنه كان جدير بالنظر عدد المرات التي تصورها الوكلاء الجيوسياسيين لصدام حسين وأسامة بن لادن، بأنهم "مجموعة من المثليين" بدلا من ارتباطهم بالجنس الآخر، الاستدلال يجري، ربما، أنه كان من الأسهل لبناء رؤية جيوسياسية مزعجة أكثر من التهديد والخطر إذا تصور الخصوم أنهم رجال غير

مستقيمين. لذا السياسة الجغرافية يمكن أن تكون رسمية للغاية، بالإضافة للطريقة المضمونة في رؤية العالم.

ارتباط السياسة الجغرافية بالثقافة الشعبية

بالنسبة للمؤلف، السياسة الجغرافية ليست الشيء الذي يحدث في يسر بوزارة الخارجية ومحيطها، ولا الشيء البسيط الذي يظهر في برامج الدردشة التلفزيونية، رؤساء الصحف، والإذاعة الهاتفية، إنها في وسعها كل هذه الأشياء. السياسة الجغرافية يمكنها أن تكون مرئية للغاية، لكنها بالكاد تلاحظ. ولنبدأ بأخذ مثال شديد الوضوح، الخطاب بشأن الاتحاد يتم تسليمه من الرئيس الأمريكي في جلسة مشتركة لمجلس النواب بالكونجرس، في شهر يناير من كل عام. إنها فرصة بارزة للرئيس لينقل له (مع ملاحظة عدم إتاحة استخدام كلمة "لها") الرؤية الجيوسياسية للبلاد والعالم الأوسع.

كجزء من تلك الجولة الأفقية، غالباً ما يستخدم خطاب دولة الاتحاد سلسلة كاملة من الرموز السياسية الجغرافية في تصنيف الدول والمناطق المرتبة حسب الأهمية الجغرافية، التي تتراوح بين الحلفاء الرئيسيين وتلك التي تعتبر مخاطر واضحة وحاضرة. الخطاب يُتلفَّز ويخضع لتحليل واسع في الصحف، والبرامج التلفزيونية، والمجلات. علاوة على ذلك، يأتي من رئيس أقوى دولة في العالم، وتتمتع الخطب الرئاسية، أيضاً، بالتأمل الشامل من المؤسسات الإعلامية الدولية. بعض الرجال المسألة أكثر أهمية من غيرها، وهؤلاء الرجال يختارون التركيز على الضروري. الرئيس أوباما لا يريد، حقاً، التركيز على هجمات الطائرات بدون طيار في باكستان واليمن، والتي يدعوها الصحفي الراديكالي جيريمي سكاهيل بـ "الحروب القذرة".

في حديثه، يناير عام 2002، بعد بضعة أشهر فقط من هجمات 11 سبتمبر على الولايات المتحدة الأمريكية، كان خطاب الرئيس في الدولة الاتحادية حدثاً بالغ الأهمية، بينما نظر العديد من المواطنين إلى قائدهم العام لفهم حساسية الأحداث. كان المواطنون الأمريكيين لا يزالوا في حالة صدمة. كيف كان الرئيس ذاهباً لتحقيق كل من طمأنة الجمهور وإعادة تأكيد الشعور بأهمية الذات الأمريكية؟ كما تكشف الخطاب، نشر بوش التقييم الجيوسياسي الصريح، التالي:

هدفنا الثاني منع الأنظمة التي تتبنى الإرهاب، وتهدد أمريكا أو الأصدقاء والحلفاء بأسلحة الدمار الشامل. بعض هذه الأنظمة كانت هادئة منذ 11 سبتمبر، لكننا نعلم طبيعتهم الحقيقية. كوريا الشمالية نظام يتسلح بصواريخ وأسلحة الدمار الشامل، وتجوّع مواطنيها.

إيران تسعى بعدوانية لهذه الأسلحة وتصدر الإرهاب، بينما هي قلة غير منتخبة تقمع أمل الشعب الإيراني في الحرية.

العراق تواصل التلويح بالعداء لأمريكا ودعم الإرهاب، وقد تآمر النظام العراقي لتطوير بكتريا الجمرة الخبيثة، وغاز الأعصاب، والأسلحة النووية لأكثر من عقد من الزمان. هذا هو النظام الذي يستخدم بالفعل الغاز السام لقتل آلاف من مواطنيها الثكلى على أبنائهم القتلى، من أجسام الأمهات المتراكمة. هذا هو النظام الذي وافق على عمليات التفتيش الدولية ثم طرد المفتشين. هذا هو النظام الذي لديه ما يخفيه عن العالم المتحضر.

...أنا لن أقف موقف المتفرج، بينما التهلكة تقترب شيئاً فشيئاً. إن الولايات المتحدة الأمريكية لن تسمح للأنظمة الأكثر خطورة في العالم بتهديدنا بالسلاح الأكثر تدميراً في العالم.

(تصفيق)

تسبب هذا المقطع من الخطاب في الاهتمام المبالغ فيه من قبل الإعلاميين والسياسيين، خاصة عبارة "محور الشر"، لوصف ثلاثي: إيران، العراق، وكوريا الشمالية. عندما يَصِفُ رئيس الولايات المتحدة الأمريكيةَ والقائد العامَ للقوات المسلحة الأمريكية ثلاثة بلدان كجزء من "محور الشر"، فإن الناس في جميع أنحاء العالم يمِيلون إلى الملاحظة. مما لا يثير الدهشة، انتقدت حكومات تلك البلدان الثلاثة الخطاب بقوة، واستنكرت الولايات المتّحدة في الأجوبة العامة هادفة على نحو أساسي اطمئنان المشاهدين المحليين. مِن وجهة نظر الرئيس، عبارة "محور الشر" ما كان قد قصد بها فحسب "اطلاق النار عبر الأقواس" للدول التي رفضتها الولايات المتّحدةِ، بل أيضاً قدمت نموذج جغرافي بسيط مِن العالم.

خطاب الولاية الاتحادية عام 2002، شكل أهمية كبرى؛ لأنه ساعد على تعزيز الخيال الجيوسياسي الذي وضعه نظام يحتجز أسلحة الدمار الشامل، لصدام حسين في العراق على أنها مرتبطة ارتباطا وثيقا بهجمات 11 سبتمبر عام 2001. وعلى الرغم من عدم وجود أية أدلة واضحة لربط هذا النظام بشبكات التطرف والإرهاب الإسلامي، كانت العديد من الأمريكان مضمون قبولهم للربط الجغرافي، وهذا بدوره ساعد الإدارة على إقناع مواطنيهم بأن غزو العراق، وبعد عمل عسكري سابق في أفغانستان، كان الخطوة الحيوية التالية لتحقيق النصر في الحرب العالمية على الإرهاب. أهمية مسألة الجماهير المحلية تتمثل في أنهم يتناولون، ويعيدون بالفعل إنتاج ذاك الخيال الجيوسياسي، يولدونه عبر الأحاديث اليومية داخل المنزل، والمقهى، والأماكن العامة الأخرى (انظر مربع 1).

مربع 1. تحضير الإرهاب الوطني: إعادة تشغيل جيمس بوند

في عام 2005، جيمس بوند، الذي لعب دوره دانيال كريج، عاد للظهور في كازينو رويال، واستهل بنوع مختلف جداً من 2007. بوند كريج كان أكثر شراسة وأكثر رشاقة، كما واجه عالم يتآلف من الشبكات الإجرامية والإرهابية العابرة للحدود الوطنية. في التجسيد السابق، كان هناك دائماً مخبأ عبقرية الشر الخفي للاقتحام، وليس أكثر من ذلك. بعد التاسع من سبتمبر، كتّاب النصوص السينمائية اخترعوا عالم جيوسياسي مختلف، بالأحرى حيث تَبْدو الشبكةَ العمومية في كل مكان، حتى اختراق منظمةَ التجسس البريطانيةِ، المخابرات البريطانية 6 (كمّ العزاءِ)، لندن لَمْ تَعد منيعة.

في سكايفال (أنظر شكل 2) يأتي الإرهاب إلى لندن كوكيل الاستخبارات البريطانية الخارجيةَ الساخط، يُنفّذُ هجومَ جريءَ ضد بناية الاستخبارات العسكريةِ 6 في وسط لندن. لتحرير بوند فإنه يجبَرُ للعودة مبكراً مِنْ المهمّةِ الكارثيةِ في تركيا ليوَقّف الفوضى الأخرى التي غلفت لندن. من وجهة نظر البريطانيينِ، بوادر هجمات السابع من يوليو 2005 الإرهابية، واضحة ، والتخطيط الجغرافي للخطرِ أقسى. لَن يَنحصر بأمان في الأماكنِ الأخرى، ونمطي جداً في أغلب الأحيان مثل كوريا الشمالية (يَمُوتُ يوماً آخراً)، فالوكيل السري عليه أنْ يُؤمن لندن نفسها.

الكمبيوتر والشبكات اللوجستية، كنفقِ لندن، يَحملان عالم السياسة الجغرافية، الذي يكون جوالا أكثر أهمية من أن يُجذَّر.

2. جيمس بوند في سكايفال (إخراج سام ميندز، 2012). فيلم بوند الأول لمستقبل لندن كهدف أساسي للخطر.



على أية حال، أحياناً، من الممكن وجود أنواع من السياسات الجغرافية الملاحظة بالكاد. قد يذكر نوعين هنا: النوع الأول، السياسات الجغرافية العادية، بعبارة أخرى، السياسات الجغرافية تلك التي تُلاحظ بصعوبة رغم حقيقة أنها جزء لا يتجزأ مِن الحياة العادية. الأعلام على سبيل المثال، إذا ما سافرت لمحافظة ناطقة بالفرنسية، كويبيك في كندا، باستطاعتك ملاحظة صف مدهش من الرايات المعلقة بمساكن الناس. إذا كان عَلم الكويبيك خارج باب المنزل، فربما يمكنك افتراض أن القاطن كويبيكي ناطق بالفرنسية (ربما لديه مصلحة في رؤية الكويبيك مستقلون في المستقبل، ويهتم بعالم ينطق الفرنسية على نحو أوسع).

إذا رأيت عَلم كندا معلق خارج الباب، فمن المعقول افتراض أن السكان يدعموا الاتحاد الفيدرالي لكندا. تصبح اختيارات العَلم ملزِمة مع جيوسياسية معينة، موضوع–مواقف. ومثل الزائر العَرَضي إلى كويبيك، فإني دائماً مفتون بتوزيع الأعلام ولدي رد الفعل ذاته تماماً، عندما أسافر إلى أماكن أخرى، بعض الانقسامية الشديدة وبعض الكونية العميقة (أو كليهما) مثل بلفاست والقدس ونيويورك.

النوع الثاني، السياسات الجغرافية العميقة الخفاء، وتأتي الإشارة إليها، فحسب، حينما تلعب الثقافة الشعبية وأجهزة الإعلام دورها في كشفها؛ للمزيد من التدقيق العام. حينما تم تصور فيلم "عدو الدولة" عام 1988، موظف وكالة الأمن القومي السابق إدوارد سنودن تعرض للتجسس بشكل درامي عالمي، من بعض الدول كالولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة البريطانية، بمساعدة وتسجيل مقدمي خدمة الإنترنت وشركات الاتصالات، على مواطنيهم وغيرهم من الناس في جميع أنحاء العالم. غادر "سنودن" هاواي عبر هونج كونج وموسكو في نهاية المطاف، وعناوين الأخبار في عام 2013 سحبت الانتباه إلى العالم، حيث تتشكل السياسة الجغرافية والأمنية من خلال تحليل سري لمصادر البيانات الكبرى. بفضل طرح الصحف، اكتشف المواطنين وجود شرائح ميكروسوفت باوربوينت تشرح حجم ومدى ما يسمى بالبريزم. بريزيم (تم إنشاؤه في عام 2007) عبارة عن برنامج لاستخراج البيانات الضخمة التي تديرها وكالة الأمن القومي، ومقرها في فورت ميد بولاية ميريلاند. زعم سنودن أن هذا النشاط كان أكثر انتشاراً مما كان الرأي العام الأمريكي قد يشتبه حتى في وجوده، أُمِرت شركات الاتصالات بتسليم تفاصيل هاتف العملاء ومكالمات الإنترنت وتاريخ البحث على التوالي.

مصطلح السياسات الجغرافية الشعبية الذي يستخدم في هذا الكتاب، لنقل الإحساس بكيفية دخول الإقرارات والممارسات الجيوسياسية في المجال العام، والمساعدة، في الوقت ذاته، وشكل تفاهمات السياسات الجغرافية النخبوية، الممثلة من قبل القادة السياسيين والشركات. كشوف سنودن تشير إلى أن التصنيفات كالشعبية والنخبوية من بدايتها لنهايتها معقدة. عندما ظهرت قصة سنودن، أشار المعلقين السياسيين إلى أفلام مثل عدو الدولة في محاولة للنقل إلى الجمهور ما قد يكون على المحك، من حيث المراقبة والمواقع والمساحات من هذا التركيب، الاتصالات، الصناعة، العسكرية. لذا ساعدت الأعمال الفنية الثقافية الشعبية في تشكل تفاهمات السياسات الجغرافية، وتسرب البريزم قد خلق سلسلة من الحوادث الدبلوماسية لحلفاء أمريكا، مثل أستراليا والبرازيل وإسرائيل والمملكة المتحدة البريطانية، الذين وضعوا استراتيجياتهم وممارساتهم كرد فعل. من جهة أعربوا عن انزعاجهم من حجم المراقبة ضد مواطنيها، ولكن من جهة أخرى أجبروا على محاربة اتهامات بأنهم ضالعون في التجسس على مواطنيهم باسم الحرب على الإرهاب. وفي كلتا الحالتين يمكن أن نتوقع السياسات الجديدة التي يجري تطويرها في موضوع المراقبة الجماعية. في حالة البرازيل، مع ذلك، أعربت الحكومة البرازيلية عن قلقها العميق بأنهم تعرضوا سراً للتجسس عليهم. في سبتمبر 2014، كما قد تتوقع، أعلن عن فيلم بعنوان: إدوارد سنودن، سيفرج عن قصته وستقوم بدورها في الوقت المناسب في إعلام وإثراء السياسات الجغرافية الشعبية، كروايات جورج أورويل التي ساهمت، في وقت سابق للحرب الباردة، في الثقافة الجيوسياسية. في عام 1954، على سبيل المثال، مولت وكالة المخابرات المركزية لصنع رواية أورويل

الشهيرة "مزرعة الحيوانات" كفيلم، بغرض إطلاع الجمهور الغربي على مخاطر الاستبداد، بما في ذلك المراقبة.

بنية الكتاب

يبحث في التاريخ الثقافي المرتبط بالسياسات الجغرافية. على الرغم مِنْ حقيقة أنّ أكثر الناسِ يستخدمون المصطلح في تقاريرِ التلفزيونَ والصحف، و/ أَو الإنترنت لا يمتلكون التقديرُ التاريخي، وارتباط الأفكارُ بالسياسات الجغرافية يتبدّلَ مع الوقت. التعامل مع هذا المجال الثقافي يختلف بشكل ملحوظ في الولايات المتحدة بالمقارنة مع أمريكا اللاتينية، وألمانيا، واليابان. وكانت الاتصالات المفترضة بين السياسات الجغرافية الألمانية والنازية محورية للغاية في تشكيل الالتزامات اللاحقة. على سبيل المثال، علماء قليلون جداً استخدموا مصطلح السياسات الجغرافية، سيان في الولايات المتحدة أو في الاتحاد السوفيتي، منذ ما يقرب من 40 عاماً في أعقاب هزيمة ألمانيا النازية عام 1945. فلماذا؟ إنهم يخشون من أنهم بدورهم سيكونون متهمين بالتعاطف مع النازيين وطموحاتهم. لكن هذا لم يمنع الآخرين، بروز الأفراد مثل هنري كيسنجر والصحفي روبرت كابلان، والذي سيظهر كضيف شرف في هذه الوحدة.

الوحدة الثالثة ترتبط بفكرة العمارة الجيوسياسية وكيفية فهمنا للعالم المتآلف من نظام دولي قائم على الدول الإقليمية واختصاصاتها الحصرية، والحدود الوطنية الدائمة ولكنها لا تشمل الجميع. ما قد يكون من المهم هنا هو فهم العلاقة بين الثبات والتدفق. كيف تسعى البناءات لفرض الثبات على التدفق؟ وتفعيل بناءات تشجع الثبات إلى أن يكون أكثر تدفقاً؟ الأزمة المالية في عام 2008 قد كشفت عن تصاعد بعض العمل الجيوسياسي في الأسواق والمال لتقطن عوالم مختلفة وتثير

احتجاجات واسعة في لندن، نيويورك، وغيرها من الأماكن. وكانت حركة "احتلوا"، في جزء كبير منها، محاولة لإصلاح التدفقات.

الحكومات الوطنية، أحياناً، حاولت إصلاح ووقف التدفقات من خلال الاستثمار أكثر فأكثر في حدود المراقبة، على أمل أنها يمكن أن تبطئ وتعيق الحركة. في عام 2013، اعترفت الحكومة البريطانية بأنه ليس لديها فكرة حقيقية عن كيف كان التدفق الضخم للمهاجرين غير الشرعيين إلى المملكة المتحدة. بدلا من ذلك، تستطيع الحكومات النضال من أجل إدارة حراك الآخرين، وهذا في استطاعتهم وله عواقب مأساوية في أماكن كالبحر الأبيض المتوسط وشمال أفريقيا.

تأييد السياسات الجغرافية النقدية

هذه مقدمة قصيرة جدا عن السياسات الجغرافية، تلك التي تحسم المعلن عنه في الطبيعة والنطاق. لا تكمن جذورها في الحتمية البيئية. إنها لا تحمل الرأي القائل بأن سلاسل الجبال والمحيطات بمثابة "مجالات القوة" على الأنشطة البشرية. صنع الشعور بالسياسات الجغرافية لا يعني أننا يجب أن لا نهتم بالمناطق الجغرافية المادية، بل يجب علينا التفكير في كيفية تحمل القوات الأرضية، التشجيع، العرقلة، وحتى منع عوالم الإنسان. ليس الانشغال بما إذا كانت الصين آخذة في الارتفاع، والولايات المتحدة آخذة في الانخفاض، وبقية العالم ببساطة يدبر أمره. لا تقدم

مخططا للسياسات الجغرافية للقرن الحادي والعشرون في حد ذاته. هناك كُتاب آخرون واستراتيجيين يمكنهم توفير مثل هذه الخدمات الجيوسياسية.

هدفي مختلف جداً، وهو تحديد موقع لسياسات الجغرافية ضمن السياقات يوميةِ. هو أَن يَصر بأن السياسات الجغرافية مُجَسَّدةُ وتجريبيةُ، من ثم، أَعْني بأنّ السياسات الجغرافية مفيدة، أحياناً بشكل درامي وأخرى بشكل دقيق. إحدى الموضوعات (مثل الأعلام) والجهات الفاعلة والقوى غير البشرية (مثل الأعاصير والجليد) ينظر إليها على أنها تعمل جنبا إلى جنب مع البشر الوكلاء والوكالة (ومن هنا جاء الفصل على الأشياء). وقبل كل شيء، هو نهج يهدف إلى تشجيع القارئ أن يكون حاسم في التفكير والممارسات الجيوسياسية، وخصوصا تلك التي تسعى إلى تبسيط العلاقات المعقدة بين الناس والأماكن. في معاجمي، أفضل أن نتحدث عن المواقع والمساحات بدلا من "الحقائق الجغرافية"، وأود الدعوة إلى النهج الذي لا يكثف الانتباه في دول محددة جغرافيا، القوى الكبرى، ووكلاء بعينهم مثل السياسيين. إذا لم نفعل ذلك فقد فقدنا صفقة عظمى؛ أهملنا دور الوكلاء من البشر واختلافهم مثل النساء والسكان الأصليين، ووكلاء غير إنسانيين مثل الموضوعات والحيوانات. ونحن قد نقلل كذلك تعدد المواقع الجيوسياسية التي تتوفر للتحقيق، بما في ذلك البيت وكل يوم. وأخيراً، نحن بحاجة إلى التأكد من أن السياسات الجغرافية النقدية لا تتكلم فقط، وذلك في ضوء ما سبق، لمصالح الأقوياء أينما كانوا قد تكون موجودة، فمن الضروري أن تكون جيوسياسياً.

الوحدة الثانية

هل الثقافة مسممة؟

مقدمة:

"السياسات الجغرافية تقدم النظرة المشوهة للعلاقات التاريخية والسياسية والجغرافية في العالم وأجزائه"

(أشعيا بومان، 1942)

"كل الكلمات لها تاريخها ومناطقها الجغرافية، ومصطلح "السياسات الجغرافية" ليس استثناء. صيغت في عام 1899، من قبل عالم سياسي سويدي يدعى رودولف كيلان، كانت كلمة "السياسات الجغرافية" قد ارتبطت بتاريخ القرن العشرين الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بالأعمال الدرامية المتحاربة من هذا القرن".

(جيرود دي توكفيل، 2006)

في 1954، انتقد ريتشارد هارتشورن السياسات الجغرافية بوصفها سمّ ثقافي؛ أثناء الحرب العالمية الثانيةِ، عَملَ في مكتبِ الخدماتِ الاستراتيجية (رائد وكالة المخابرات المركزيةِ) وساعدَ في تَوليد الاستخبارات الجغرافيةِ للجيشِ الأمريكيِ. إنه، مثل العلماءِ الجغرافيينِ الآخرين كأشعيا بومان، وَجدَ أمامه أن السياسة الجغرافية محتالةَ بشكل ثقافي، مشوّهة بشكل تجريبي، مشكوك فيها فكرياً، ولوّثت بالتعاون مع النازية (ومغايرات أخرى مِنْ الفاشيةِ يتضمن ذلك الإيطالي والياباني) وسياساتها المرتبطة بالإبادة الجماعيةِ، والتمييز العنصري، توسّع الحيّز، وهيمنة المكان. إعطاء هذا الاتهام الصريح، ربما يجعلنا غير مندهشين تماماً حينما نعلم أن العديد من الجغرافيين في الولايات المتحدة وأماكن أخرى بما في ذلك الاتحاد السوفيتي، كانوا راغبين في دخول هذه التضاريس الثقافية. خلال خمسون عاما من التأسيس الرسمي

(وما قبل تاريخ العملة، "السياسات الجغرافية،" بما في ذلك كتاب القرن التاسع عشر مثل قائمة فريدريك)، وبالتالي، فإنه كان ملوما من قبل زمرة من الجغرافيين، والأكثر أهمية من الكتاب المساهمين في قراءة الدوريات الأمريكية على نطاق واسع مثل القارئ دايجست، الحياة، ومجلة نيوزويك. الادعاء، بالتالي، بأن السياسات الجغرافية كان لها تاريخ حافل بالأحداث الثقافية سيكون شيئاً مُهيناً.

كيف كانت السياسات الجغرافية قد جذبت هذا الازدراء أم لم تجذب؟ في نوفمبر 1939، نشرت مجلة الحياة مقالا عن الجغرافي الألماني كارل هاتشوفر ووصفته بأنه "معلم السياسات الجغرافية" الألمانية. ادعت المقالة أن السياسات الجغرافية، كممارسة علمية، لا تقدم للنازية الشعور بالرشد الاستراتيجي فحسب، لكن أيضاً استثمرت الاشتراكية القومية مع شكل من أشكال الروحانية الزائفة. وكان ذلك من أهم عواملها في التأثير على الرأي العام والأكاديمية تجاه مادة البحث تلك. من ناحية، أدينت السياسات الجغرافية باعتبارها نشاط احتيالي خطير لا يستحق اهتمام العلماء ولكن، من ناحية أخرى، فإن النقاد قد منحوها صلاحيات استثنائية لوضع استراتيجية وتصور الأقاليم والموارد العالمية. من ثم، لم يكن استخدام تعبير "معلم"، بريئاً تماماً؛ لأنه نقل شعور النازية التي هبت مع روح خارقة وإحساس شرير الغرض. بحلول خريف عام 1941، نبهت ريدرز دايجست القراء إلى حقيقة أن 1000 آخرين، على الأقل، من العلماء كانوا مسلحين ثقافياً وعلى استعداد لتعزيز الخيال الجيوسياسي لهتلر والفولك الألمانية (الناس). فريدريك سندرن كتب للجماهير الغفيرة في ريدرز دايجست، وكذلك في التاريخ المعاصر، ووصف منظمة مقرها ميونيخ، بالغامضة، تسمى معهد السياسات الجغرافية، والتي

كانت عازمة على إعلام خطط هتلر للهيمنة على العالم. وفقا للكاتب، الجو كان ساخناً:

عمل اللواءِ الأستاذِ الدّكتورِ كارل هاتشوفر ومعهده السياسي الجغرافي في ميونخ، مَع علمائِه الـ 1000 وتقنييه وجواسيسِه [أينذر بخطر عظيمِ]؟ ... هؤلاء الرجال مجهولون إلى الجمهورِ، حتى في الرايخِ. لكن أفكارَهم، فَرضت مخطّطاتَهم وخرائطَهم وإحصائياتَهم ومعلوماتَهم وخططَهم حركاتَ هتلر منذ البداية.

ومثل هذا القلق حول ذاك المعهد الغامض وصلاحياته الاستثنائية، نسب إلى الجيوسياسية الألمانية أن الرئيس روزفلت قام بتكليف سلسلة من الدراسات الأكاديمية حول هذا الموضوع. بينما كان هؤلاء الخبراء أقل اقتناعاً عن المطالبة المتعلقة 1000 من العلماء والفنيين في خدمة هتلر، ووافق على أن السياسات الجغرافية كانت تزود العضلات الثقافية في الممارسات المرتبطة بفن الحكم الألماني، بما في ذلك الغزو والقتل الجماعي.

ما جعل هذا الاتهام بالتواطؤ أكثر إدانة، أن بعض المؤلفين الرائدين مثل هاتشوفر كانوا مرتبطين ارتباطا وثيقا بالنظام النازي. وكان هذا التقاطع بين الأكاديمية وعالم الحكومة حاسماً في إضافة المزيد من المصداقية على اتهام السياسات الجغرافية المفلسة أيديولوجياً ومشبوهة أخلاقياً.

بحلول الوقت كانت الحرب العالمية الثانية قد انتهت، وقفت السياسات الجغرافية مدانة على نطاق واسع باعتبارها خادمة للنازية وجيل ما بعد الحرب بأكمله من العلماء وكتبهم الدراسية على السياسات الجغرافية قررت ببساطة تجاهل لسياسات الجغرافية من مناقشاتهم. عند جغرافي مقره في أمريكا، كريستوف ليدز (والد كاتب العمود في صحيفة نيويورك تايمز، نيكولاس كريستوف)، حاول إحياء هذا المصطلح

في الولايات المتحدة في أوائل الستينات، وكان انتقد من قبل زملائه ولُعن لذكره مصطلح السياسات الجغرافية في الطباعة.

أصول "عِلْمِ" السياسات الجغرافية

لكي يُفْهمَ ناقوس الخطر والغضبَ الذي شَعر به النقّادِ الأمريكانِ أثناء الأربعينات وما بعدها، فمن الضروريُ التَقدير بالكامل تكوين السياسات الجغرافية كتعبير ثقافي. تم صياغته في 1899 مِن قِبل أستاذ في عِلْمِ السياسة، سويدي، رودولف كيلان، هو في أغلب الأحيان أُخِذَ لإظهار نظرة واقعية عنيدة أَو أكثر، إلى السياسة الدوليةِ التي تَضِعُ التأكيدَ المعيّنَ على دورِ الأرضِ والمصادرِ في تَشكيل شرط الولايات. هذا "العِلْمِ"، الجيوسياسية، افترض "القوانين" حول السياسات الدوليةِ المستندة على "الحقائق" الجغرافيةِ الطبيعيةِ العالميةِ (ترتيب القاراتِ والمحيطاتِ، وتقسيم الدول والإمبراطورياتِ من بحر وأرض وقوى).

كرد فعل ضد ما ينظر إليه على أنه نهج قانوني مبالغ فيه للدول وصراعاتهم مع بعضهم البعض، وإدخال السياسات الجغرافية العلمية في عالمي الأكاديمية والحكومة الموجهة من نهايات القرن التاسع عشر حتى أوائل القرن العشرون، كان ملائماً. وكصفة حقيبة السفر، جذبت السياسات الجغرافية اهتماماً لأنها ألمحت إلى البدعة، ولم يكن المقصود بها التقصي دون أن يشار إلي، في كثير من الأحيان، الأبعاد الجغرافية للدول ووضعهم السياسي العالمي. أصبح كيلان، في وقت لاحق، العضو المحافظ في البرلمان السويدي، وكان معروف جيدا بوجهات النظر الحادة في القومية السويدية وتصاميم السياسة الخارجية.

ادعاء الطرافة أمر مضلل بعض الشيء، ويساعد فقط، في جزء منه، على شرح **لماذا** أصبحت السياسات الجغرافية مصطلح جذاب واهتمام ثقافي حيوي في جميع أنحاء قارة أوروبا. كانت السياسة الجغرافية إعادة صياغة أكاديمية للقرن العشرون، لشكل من الأشكال الأكثر تقليدية لفن الحكم وحساب الدولة، التي كان يتولاها وزارات الشؤون الخارجية ووزارات الحرب خلال القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر، وليس في قاعات الجامعات؟ لكن كانت هناك أيضاً السياقات الثقافية الأخرى التي نوقشت فيها أهمية الجغرافيا في تشكيل العلاقات السياسية الدولية.

إنّ الكاتبَ الألماني، فريدريك ريتش، مثال جيد لمثل هذا الاشتباك. في كتابه النظام الوطني للاقتصاد السياسي (نشر لأول مرة في عام 1841) وقال أنه قدم المشورة إلى الدولة الألمانية عن أهمية العوامل الجغرافية (مثل إمكانية الوصول إلى بلد ما من الطرق البحرية والبرية، وإمكانية التوسع الإقليمي، والثراء من الموارد). وقد أظهرا، سارة أوهارا ومايك هيفرنان، كيف برزت العديد من الأفكار المرتبطة بهذه السياسات الجغرافية الوليدة، والوثائق الحكومية والصحافة المضاربة. بينما السياسات الجغرافية ظَهرت ردّاً على مخاوفِ معينة متأخرة في القرن التاسع عشرِ، لربما عَكسَت أكثر فعل الاستعمار الأكاديمي (في عصرِ توسّعِ الجامعة الرئيسي في بريطانيا وقارة أوروبا) لنشاطِ أجرى سابقاً خارج الأكاديمية. وساهمت ثلاثة عوامل في إنشاء السياسات الجغرافية كمادة منفصلة. أولا، كانت الحماية القومية والتجارية والاقتصادية في ازدياد مع الدول الأوروبية الاستعمارية مثل بريطانيا وفرنسا المحتضرة خلال التحول والطبيعة المتداخلة على نحو متزايد في الاقتصاد العالمي. صعود الولايات المتحدة كقوة تداولية، خلق مزيداً من القلق بين هذه القوى الأوروبية. ثانياً، سعت القوى الاستعمارية بحث عدواني لمناطق جديدة في

أفريقيا وأماكن أخرى في منتصف حتى أواخر القرن التاسع عشر. في حين أن تراكم الإمبريالية في ازدياد، واجهت الدول الأوروبية بعضها البعض على الملكية والوصول لتلك الأقاليم المستعمرة. وقد تورطت بريطانيا وفرنسا في لقاءات متوترة في شمال أفريقيا، واستمرت بريطانيا وروسيا تزاحمان وتصدان في آسيا الوسطى تحت لقب "اللعبة الكبرى".

ووصف الكاتب البريطاني الشهير الجيوسياسي هالفورد ماكيندر حقبة جديدة كما في مرحلة ما بعد الكولومبية، بمعنى أن عصر الاستكشاف والاستعمار الأوروبي في أعقاب هبوط كولومبوس في الأمريكيتين، في القرن الخامس عشر، قد انتهى. في نهاية المطاف، فإن بلدانا مثل بريطانيا وألمانيا تشارك في إعادة التسليح، الأمر الذي أثار المخاوف من أن الصراع قد يتحقق في أوروبا بدلا من مجرد اندلاعه في المستعمرات الأوروبية البعيدة (انظر مربع 2). وأخيراً، نمو الجامعات وإنشاء الجغرافيا كفرع أكاديمي خلق فرص جديدة للعلماء لتعليم وبحث الموضوع. كان الوضع العلمي المزعوم للسياسات الجغرافية ضرورياً في تأسيس مزاعم أنها تتمتع بالشرعية الثقافية وأهميتها السياسية.

مربع 2. روايات الغزو والقلق الجيوسياسي

كانت رواية الغزو النوع التاريخي الذي اكتسب شعبية كبيرة بين 1870 و 1914. واحدة من الأكثر تميزا كانت جورج شيسني في معركة دوركينج، مرتبط بالخيال العلمي من غزو إنجلترا من قبل القوات المسلحة الألمانية. وتشمل آخرون كلغز الرمال لأرسيكن شلدر، والتي أظهرت رجلين بريطانيين في يوم عطلة الإبحار يحدثان منع الغزو الألماني المخطط عندما سنحت فرصة بناء أسطول سري من مراكب الغزو. بحلول عام 1914، كان أكثر من 400 كتاب تم نشره حول غزوات افتراضية من قبل القوى الخارجية.

شعبيتهم تدين بالكثير لروح العصر المعاصر، المرتبط بالتنافس الأنجلو ألماني، إعادة التسلح، والمنافسة الاستعمارية في أفريقيا والبحر الأبيض المتوسط. تزايد المخاوف العام حول "الأجانب" وشبكات التحسس الألمانية بناء على ذلك.

كانت روايات الغزو، أيضاً، شعبية في اليابان وظهرت في وقت واجهت اليابان الروس في عام 1904، من أجل الهيمنة على شرق آسيا. في الولايات المتحدة، كتب ايرفينج هانكوك للغزو من قبل القوات الألمانية، واحتلال الساحل الشمالي الشرقي. تصد القوات الأمريكية المهاجمين، في نهاية المطاف.

دور الولايات المتحدة من جهة التأثير الاقتصادي والسياسات الجغرافية عقّدَ هذه التحليلاتِ الجيوسياسية في وقت مبكر من أوروبا والبؤر الاستيطانية الاستعمارية. من الملاحظين المعاصرين مثل فريدريك جاكسون تيرنر أفاد بأن الحدود الأمريكية في عملية 'إغلاق' كما جاء التوسع القاري تتويجاً طبيعياً. في أواخر 1890، في أعقاب شراء ألاسكا من روسيا في 1860، تجسدت الإمبراطورية الأمريكية على أراضي كوبا والفلبين وبورتو ريكو. الأدميرال توماس ماهان، في كتابه تأثير القوة البحرية على التاريخ 1660-1783، قدم بعض النصائح الواقعية لإدارة ثيودور روزفلت آنذاك. كرئيس، لمرة واحدة، من كلية الحرب البحرية، قال أنه كان في وضع جيد للمساهمة في التفكير الاستراتيجي الأميركي. إذا نظرنا إلى الوراء في التنافس البحري الأنجلو فرنسي في القرنين السابع عشر والثامن عشر، أوصى ماهان أن الاستيلاء على السلطة البحرية كان العامل الوحيد الأكثر أهمية في تحديد القوة الجيوسياسية للأمة. وكانت القوة البحرية "خادمة التوسع" والتوسعية ستحتاج الولايات المتحدة أن تكون قادرة ليس فقط لاستعراض قوتها عبر المحيط الأطلسي والمحيط الهادئ الواسع، لكن أيضاً لديها القدرة على ردع و/أو هزيمة كافة المنافسين. التهديد الرئيسي، وفقاً لماهان، يقع على عاتق الإمبراطورية الألمانية والروسية وطموحاتهم البحرية. وكان عمله، في وقت لاحق، أن يترجم ويقرأ بحماس عظيم في ألمانيا، ولعب دوراً في تشكيل الفكر الجيوسياسي الألماني في 1920 و 1930، وخصوصاً في تطوير التنظير لعموم المنطقة.

كتابات كيلان، جذبت اهتمام سريع، في البداية، من الباحثين الألمان، الذين استكشفوا بالتفصيل العلاقة بين السياسة والجغرافيا على مجموعة متنوعة من المقاييس الجغرافية. جزئياً، هذه الحركة من الأفكار تدين بالكثير إلى القرب الجغرافي والتبادل بين العلماء الألمان والدول الإسكندنافية. وكانت الكتاب الألمان، مثل كيلان، اهتماماً عميقاً في تصور الدولة وفقا لاحتياجاتها الإقليمية وللموارد. مطلع المتغيرات الداروينية الاجتماعية، تم التأكيد على النضال من الدول وأناسهم المبدعين، وكذلك الحاجة لتأمين "الأصلح"، للدول والشعوب. ووفقا لفريدريك راتزل، أستاذ الجغرافيا في جامعة لايبزج، ينبغي تصور الدولة باعتبارها أحد الكائنات العظمى، التي كانت قائمة في عالم يتسم بالصراع وعدم الاستقرار. تدرب في مجال العلوم الطبيعية وملماً بالإرث الثقافي المرتبط بتشارلز داروين وجان بابتيست دي لامارك، يعتقد راتزل أن الدولة كانت قوة جيوسياسية متجذرة وتتشكل من البيئة الطبيعية. من أجل الازدهار، ناهيك عن البقاء على قيد الحياة، في ظل هذه الظروف الاختيارية، احتاجت الدول لاكتساب الأراضي والموارد.

في كتابه، البحر كمصدر لعظمة الشعب، حدد راتزل كل من الأرض والبحر وتوفير الفرص والممرات المادية من أجل التوسع الإقليمي والدمج في نهاية المطاف. دولة قوية وناجحة لن ترضى بالحدود الحالية، وستسعى للتوسيع إقليمياً وتأمين "مكان للعيش". إن الدول المتنافسة تسعى أيضاً تلك المساحات لذا أي دولة، وفقاً لراتزل، تسعى إلى توسيع ستشارك في دورة لا تنقطع من النمو والتراجع. كان البحث عن مكان للعيش، في الواقع، قانون أساسي وغير قابل للتغيير الجيوسياسي، وإلى حد بعيد، حرفياً، حقيقة من حقائق الحياة على الأرض. ومما

لا يثير الدهشة، كونه من المدافعين المتحمسين عن إمبراطورية الألمانية؛ للقوة البحرية القوية القادرة على حماية مصالحها في الخارج.

للعديد مِن الكُتّابِ الآخرينِ أيضاً، وموقع ألمانيا الجغرافي، والتجربة التاريخية لألمانيا في وسط أوروبا بمثابة نعمة ونقمة، كان يمكن أن تسيطر على القارة الأوروبية، ولكن كان، أيضاً، ضحية لفقدان الإقليمية وسوء الحظ. كانت ألمانيا، كما لاحظ مايكل كوريمان في عام 1990، "أرض الجغرافيين"، مع بعض أول كليات الجامعة التي أنشئت مخصصة لتدريس الجغرافيا. عشية الحرب العالمية الأولى، الجغرافيون الألمان مثل ناومان وبارتش دعيا لتحالف الألماني مع الإمبراطورية النمساوية المجرية، وتواجد بحري قوي من أجل توسيع نطاق أهدافها التجارية والحقيبة الإقليمية. مع هزيمة عام 1918 وجاء تحقيق سحق تلك الطموحات فما كانت من المحتمل أن تنجز في المستقبل القريب.

زرع مؤتمر السلام في عام 1919 والتسوية المالية والإقليمية المدمرة الواردة في معاهدة فرساي، بذور الاستياء. في فترة ما بين الحربين، فقد تم إحياء أفكار راتزل، الجغرافيين في فرنسا مثل بول فيدال دي لابلاش، قلقوا بأن هذه الأفكار المرتبطة بالدولة باعتبار أنها أحد الكائنات الفائقة، يمكن نشرها لتبرير ألمانيا الصاعدة، والعزم على انتزاع الانتقام، في وقت سابق، لتمزيق الأقاليم والعرقية.

في أماكن أخرى في أوروبا، الجغرافيين وضباط الجيش يشتبكون مع الأفكار الجيوسياسية وربطها بمناقشة أوسع عن الاستعمار، والتجديد الوطني، والمهمة الإمبراطورية. في البرتغال، على سبيل المثال، وظهور نظام سالازار في أوائل الثلاثينات، عجل عروض العامة والتعاقدات مع بعثة البرتغال فيما يتعلق بالعالم الأوسع الناطق باللغة البرتغالية.

في إيطاليا، تم إنشاء مجلة جديدة جيوسياسية من أجل تسهيل إجراء المزيد من المناقشات بشأن الطموحات الجيوسياسية الإيطالية في منطقة البحر الأبيض المتوسط وأفريقيا. في كلا البلدين، تم توزيع خرائط جديدة في الكتب المدرسية والجداريات العامة بهدف إرشاد المواطنين حول التطلعات الجغرافية لهذه البلدان. في إسبانيا، تتركز المناقشة الجيوسياسية بشأن الطموحات الاستعمارية الإسبانية في شمال أفريقيا، والحكومة حرصت على إبراز القوة العسكرية وفقا لذلك. على النقيض من ألمانيا، التعاقدات التي أبرمت الجيوسياسية الأيبيرية منشغلة، في المقام الأول، بتوضيح الاستعمارية بدلا من إعادة تشكيل خريطة قارة أوروبا.

عندما أثبتت المخاوف بشأن نهضة العسكرية الألمانية المبررة، دعا الكاتب الجيوسياسي البريطاني ماكيندر إلى تحالف محيط ميدلاند مع الولايات المتحدة لمواجهة أي إمكانية للتحالف بين ألمانيا الصاعدة والاتحاد السوفيتي الجديد. على الرغم من أن مقترح عام 1924، غالباً ما يكون من المفهوم أنه أحد أقدم مقترحات للتحالف الاستراتيجي، الذي كان في وقت لاحق إلى أن تبدأ من قبل منظمة حلف الشمال الأطلسي في أبريل عام 1949. وعلى الرغم من أن ألمانيا الغربية كانت حليفا هاماً في الحرب الباردة للولايات المتحدة وبريطانيا في أواخر الأربعينات، انشغل الخطاب الجيوسياسي الألماني بين الحرب مع النمو الإقليمي الألماني والهيمنة الثقافية.

السياسات الجغرافية والنازية

العنصر الأكثر إثارة للجدل في تاريخ القرن العشرين أن السياسات الجغرافية تأتي مع ارتباطها المزعوم بالنازية وخطط هتلر للهيمنة العالمية. فكرة الدولة تعد بمثابة الكائن العضوي الفائق. وتتطلب، علاوة على ذلك، "مكان للعيش" أثبت خطورته، إن لم يكن كليا خلفية أصلية للارتباطات بين الحربين مع الأفكار الجيوسياسية. لشيء واحد، مفهوم الدولة بوصفه كائن عضوي شجع بإطلالة على العالم، تركز على كيفية الحفاظ على المصلحة الذاتية الوطنية في بيئة فائقة، قادرة على المنافسة تتألف من الدول الضارية الأخرى. ونظراً للمخاطر الواضحة، والحفاظ على الكائن العضوي يصبح أمر حرج، وأي شيء أو أي شخص يهدد السلامة الصحية للدولة، وستحتاج إلى معالجة مع بعض الحماس. الصعيد الداخلي، لذلك، المتحكم في الدولة بحاجة إلى توخي الحذر، والصعيد الخارجي، يقول بأن صحة الدولة تعتمد على السعي الدؤوب للحصول على الأقاليم والموارد. مرة أخرى هذا النوع من التفكير يميل إلى تعزيز إطلالة على العالم تعتز حتما بقوة عسكرية مجهزة تجهيزا جيدا، جاهزة وعلى استعداد للعمل عند الحاجة (وهي الفكرة التي كان من المقرر أن يتم تناولها بحماس كبير في أجزاء أخرى من العالم وخاصة الأنظمة العسكرية في أمريكا اللاتينية بعد عام 1945). كما تعزز فصيلة أخلاقية؛ لأن تعتبر هؤلاء الكتاب الجيوسياسية إلى أن مجرد رفع تقارير عن بعض الحقائق الجغرافية التي يتم إزالتها من التدخل الاجتماعي والسياسي. (مربع 3).

مربع 3. صنع الشعور بالسياسات الجغرافية

السياسات الجغرافية تحاول إعطاء تفسير علمي ومنطقي لحياة هذه الكائنات العضوية الفائقة، مع النشاط الذي لا يهدأ على الأرض، ولدت وتتطور وتموت، دورة خلالها عرض كل أنواع الشهوات وغريزة قوية للبقاء. هم ككائنات عقلانية ومنطقية مثل الرجال.

(الدكتاتور التشيلي الراحل، والأستاذ الأسبق للسياسات الجغرافية، أوغستو بينوشيه، الجيوسياسية، 1968)

قد جادل النقاد النازيين مثل رودولف هيس، وحتى أدولف هتلر، نشر الأفكار ووجهات النظر الجيوسياسية من أجل تعزيز التوسع الألماني ويشرعوا له الثلاثينات والأربعينات على حساب القتلة من الجماعات العرقية داخل ألمانيا (اليهود كونهم الأكثر وضوحاً) وبقرب جيران مثل بولندا وتشيكوسلوفاكيا. هذه العلاقة بين السياسات الجغرافية والنازية لا تزال تتنافس كثيرا وتعتمد في جزء منها على الجرم بالتبعية. فكرة الجمعية بالغة الأهمية، فإنها تشير إلى كل اتصال فكري ولكن الأهم من ذلك إلى العلاقة الشخصية بين بعض الجغرافيين الألمان الرواد والنازيين رفيعي المستوى.

في قلب هذا الاتهام الذي يَتعلّقُ بالارتباطات الثقافيةِ والسياسيةِ بين الجيوسياسية والنازيةِ، تكذب الكتاباتَ والشبكاتَ الاجتماعية عن الأستاذ كارل هاتشوفر. ولد في 1869، دَخلَ الجيشَ الألماني وتَقاعد أخيراً في 1919 برتبة الجنرالِ الرئيسيِ. أثناء فترتِه مِن الخدمة العسكريةِ، أُرسلَ إلى اليابان لدراسة قوّاتهم المسلحةَ. بينما في الانتداب (1908 -1910)، تَعلّمَ هاتشوفر اليابانية وطوّر باهتمام بالغ في ثقافة تلك البلادِ. تفاعلاته مع الضبّاطِ والجغرافيين العسكريينِ اليابانيين، كَانت حاسمة في تيسير ظهور المعاهد الجيوسياسية اليابانيةِ مثل جمعيةِ اليابان للسياسات الجغرافية، ومدرسةِ السياسات الجغرافية في جامعة كيوتو في العشرينات والثلاثينات. وكان التأثير الثقافي الشاهق باق في تطوير السياسات الجغرافية ليس فقط في ألمانيا واليابان، ولكن أيضاً في أمريكا الجنوبية حيث ترجمت أعماله إلى الإسبانية والبرتغالية، واستخدمت على نطاق واسع من قبل القوات المسلحة لدول مثل الأرجنتين والبرازيل وشيلي.

بعد تقاعده من الجيش، أصبح هاتشوفر أستاذ الجغرافيا في جامعة ميونيخ، وشرع في نشر "مجلة" السياسات الجغرافية، في منتصف العشرينات، كما هو الحال مع سلفه راتزل، ويعتقد هاتشوفر أن بقاء الألماني سيتوقف على إدراك واضح صافٍ من الحقائق الجيوسياسية العالمية. إذا كانت الدولة في الازدهار، بدلا من البقاء على قيد الحياة فقط، وكان الاستيلاء على "مساحة للعيش"، ولاسيما في الشرق، للحيوية وعلاوة على ذلك القابلية للتحقيق بمساعدة حلفاء محتملين مثل إيطاليا واليابان. كانت التسوية مع الاتحاد السوفيتي، أيضاً، في المدى القصير والمتوسط، من الحكمة لأنه سيمكن كلا البلدين لتعزيز مواقفهما على اليابسة الأوروبية الآسيوية. من أجل ازدهار ألمانيا، ستحتاج قيادتها، اعتقد، أن تنظر بعناية لخمسة عناصر أساسية، والتي تكمن في قلب تصميم الدولة للطاقة العالم: الموقع الجغرافي، والموارد، والأراضي، والصرف، والسكان. إذا كانت ألمانيا دولة "التنقل بين المساحة" بدلا من "الالتزام بالمساحة"، فإنها بحاجة إلى الفهم والعمل على إمكاناتها الإقليمية والموارد.

كما عزز هاتشوفر فكرة نظرية المناطق القومية، التي يفترض أن ألمانيا والدول العظمى الأخرى مثل اليابان، تعمل على تطوير المناطق النائية الاقتصادية والجغرافية الخاصة بها، بعيداً عن التدخل مع بعضها البعض. من أجل سيطرة ألمانيا على جزء من اليابسة الأوروبية الآسيوية، كانت التسوية مع الاتحاد السوفيتي جوهرية، مثلما كان أسلوب العمل مع بريطانيا، والتي كان من المفهوم أنها مسيطرة على أفريقيا. كان التوجه الجغرافي الرئيسي لهاتشوفر تجاه الشرق، وكان من المؤيدين المتحمسين لخطط تطوير السكك الحديدية، برلين في بغداد، والتي من شأنها أن تمكن ألمانيا من إظهار نفوذها في الشرق الأوسط وآسيا الوسطى. إذا تطورت، فإن

السكك الحديدية وتسهيل الحصول على إمدادات النفط و(بريطانيا ترتعد) منبراً لتعطيل التجارة من وإلى آسيا. في حين أنهى مؤتمر السلام في عام 1919 الطموحات الألمانية لمتابعة مثل هذه الخطة، فكرة هاتشوفر للأقاليم القومية ناشدت كل من القوميين والصناعيين، ليبحثوا شرقا التقليدي، حرصاً على استغلال المواد الخام التي حملت في المستعمرات الألمانية خارج أوروبا.

بينما أفكاره قد اعتبرت دعماً لمشروع هتلر الثقافي من التوسع المكاني والعنف والإبادة الجماعية، وادعى النقاد (خاصة المراقبين الأمريكيين في الأربعينات) أن هذه الأفكار تشكل أهمية بسبب صداقة هاتشوفر مع رودولف هيس، وتورطه رفيع المستوى في المفاوضات الألمانية-اليابانية في الثلاثينات والأربعينات. قبل تعيينه سكرتيراً خاصا لهتلر ونائبه، في وقت لاحق، في الحزب النازي، وكان هيس طالب هاتشوفر من جامعة ميونيخ. في عمله "كفاحي" هتلر يثير مصطلحات مثل مساحة المعيشة (المجال الحيوي) لشرح اعتقاده بأن ألمانيا في حاجة إلى عكس معاهدة فرساي عام 1919، والسعي إلى مصير جغرافي جديد يشمل أوروبا الوسطى والشرقية.

مع ذلك، هناك فرق حاسم بين الرجلين. على عكس هاتشوفر الذي كان مشغولا إلى حد كبير بالعلاقات المكانية والدولة العضوية، وضع هتلر تركيز أكبر بكثير على دور الناس (في قضيته الجنس الآري) في تحديد مسار التاريخ والجغرافيا. بعبارة أخرى، إن هاجس هتلر مع العرق وكراهيته للألمانية ويهود أوروبا لا يجد أي إلهام فكري من كتابات هاتشوفر. إذا اتفق الجانبان على أي شيء، فهو أن الدولة الألمانية كانت أحد الكائنات العضوية الفائقة التي يحتاجها الناس الذين "يعيشون بالمكان" والوسائل الإقليمية المرتبطة بها. على الرغم من علاقاته مع المسؤولين

النازيين، كان تأثير هاتشوفر في طريقه إلى الزوال في أواخر الثلاثينات وأوائل الأربعينات.

أيضاً إنه لا يعتقد، كما فعل العديد من النازيين، أن عصابة دولية من اليهود والشيوعيين كانت تخطط للسيطرة على العالم، ولم يدعم هاجس هتلر بتأثير، الذي لا داع له، اليهود الألمان على الرفات الوطني من ألمانيا نفسها.

المثقفون المهاجرين الألمان، بحلول 1941-1942، مثل هانز وجيرت، أندريس دوربلان، أندرو جيورجى، روبرت ستراوسز هوب، زرعوا بحزم في الخيال الأميركي بأن الجيوسياسية الألمانية شريك علمي للنازية في الجريمة. كما اتهم هاتشوفر، بأنه عبقرية الشر خلف الخطر النازي، وكان منصبه ونفوذه، كما لاحظنا، حقيقة في الانخفاض. وعلاوة على ذلك، اعتقد أن الغزو الألماني للاتحاد السوفيتي في عام 1941 كان مضللا من الناحية الاستراتيجية، وعلاقته الوثيقة مع رودولف هيس أصبحت مسؤولية عندما اكتشف أن هيس قد طار سراً إلى إسكتلندا في العام نفسه، في محاولة لتحقيق السلام مع بريطانيا. في حين أن أصول مهمة هيس ما زالت غير واضحة، فإنها بمثابة نقطة تحول في النفوذ المزعوم من التفكير الجيوسياسي الألماني على هتلر ومعاونيه.

انتحر هاتشوفر في 1946 بعد علمه بأنّ ابنه ألبريتشت كان قَدْ أُعدمَ في أبريل 1945 لدوره في مؤامرة قنبلة لقتل هتلر في يوليو 1944. شخص واحد الذي ناقشَ الأفكارَ الجيوسياسية مع كارل هاتشوفر كَان العقيدَ الأمريكيَ والكاهنَ اليسوعيَ، الأب إدموند والش. مهتمّ بالكتاباتِ الجيوسياسية السوفيتيةِ والألمانيةِ، قرّرَ والش بأنّ هاتشوفر لا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ من المتهمين بارتكاب جرائم حرب حتى لو كان مثل هؤلاء الكتاب الألمان المهاجرين، المذكورين آنفا، كان مقتنعا بأن

هاتشوفر من "ثقات العقول" لهتلر. كما أنه أشار في كتابه 1948 "مجموع الطاقة"، بالعلاقة المتبادلة بين السبب والنتيجة لم يعد من الممكن إنكارها، كما الغزو واحدا تلو الآخر يتبع نمط واسع المدى جداً، وهكذا شرح علنا في كتابات وتعاليم الجيوسياسيين الرئيسي. أعطى استجواب والش المفصل لهاتشوفر في عام 1945، حكماً أكاديمياً له بعض الوزن الكبير، ولكن حتى إنه لم يصل إلى حد إلقاء اللوم على جماعة هاتشوفر الثقافية والعلاقات الشخصية لسياسات هتلر العنصرية والتوسعية.

التراجع في الولايات المتحدة بعد الحرب

بعد أن كسب الإدانة والازدراء من المراقبين الكرام مثل إدموند والش، الذي أصبح عميد السلك الدبلوماسي للولايات المتحدة الأمريكية في جامعة جورج تاون، فإنه ليس من المستغرب أن سمعة السياسات الجغرافية، كانت في حالة يرثى لها. هناك جيل جديد من السياسيين الجغرافيين الأمريكان رفضوا هذا المصطلح وبدلا من ذلك تم التركيز على تطوير السياسة الجغرافية، التي تميزت بدقة وبالثقافة الموضوعية وحتمية أقل فيما يتعلق بتأثير العوامل البيئية على سلوك الدول.

في مراجعته الضرورية للسياسات الجغرافية الناطقة بالإنجليزية فيما بعد الحرب، ليزلي هيبل ادعى أن مصطلح "السياسات الجغرافية" انخفض من التداول في الحياة السياسية والشعبية الأميركية بين عامي 1945 و 1970. ومع استثناءات قليلة جداً، مثل الأستاذ التشيكي المولد، وعالم الاجتماع في جامعة بريدجبورت، جوزيف روزِك، الذي نشر بغزارة في المجلات الأكاديمية والشعبية حول مواضيع مثل

الجغرافيا السياسية للولايات المتحدة أو القطب الجنوبي، قد تجنب المصطلح بشكل متعمد. ما يلفت النظر حول جميع مقالات روزك التي تحتوي على عنوان "السياسات الجغرافية"، أنه يظهر القليل دون جدوى في استكشاف التضاريس المفاهيمية بالموضوع. بالنسبة له، السياسة الجغرافية هي مختصر مفيد (وعلى ما يبدو بديهياً) لمصطلح يسلط الضوء على أهمية الأقاليم والموارد.

على الرغم من اعتماد روزك الحماسي، كان عدد قليل جداً من الآخرين على استعداد لتوظيف مصطلح تلوث، على ما يبدو، من وجود علاقة مع النازية. عقب عام 1945 فترة شهدت، إذا كان أي شيء، أهمية متزايدة لانضباط العلاقات الدولية (IR) والنظريات الواقعية، التي تناولت دور الدولة في النظام الدولي. كانت لحظة بارزة حين توحيد التخصصات في مايو 1954، عندما عقدت مؤسسة روكفلر مؤتمر السياسة الدولية، وهدفت إعادة النظر في "نظرية الدولة في السياسات الدولية".

هذا لم يَعنِ، على أية حال، أن الجغرافيين والعلماءِ الاجتماعيين تَركوا اهتمامهم في المناطق الجغرافية من الخريطة السياسية العالمية. اعترف الجغرافيين مثل نيكولاس سبيكمان (1893–1943)، ولاحقاً شاول كوهين، أن بداية الحرب الباردة قصدت على نحو بالغ الأهمية، وأكثر من أي وقت مضى، فهم طبيعة أراضيها وأيديولوجية الصراع بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة. في عمله الرائد "الجغرافيا والسياسة في عالم منقسم"، تابع كوهين الاهتمام بفهم سبيكمان لعالم ممزق على نحو جَلي.

إذا وجه سبيكمان الانتباه إلى ما أسماه بـ"أراض حدودية" من أوروبا الشرقية والشرق الأوسط، والجنوب وجنوب شرق أوروبا، تركز عمل كوهين، لاحقاً، على

ما أسماه بـ "نُطق تحطيم"، وحاولَ تَوضيح أن القوى العظمى كانت من المحتمل أن تُقْفَلَ إلى النزاعاتِ على الأرضِ، الموارد، والوصول.

المناطق الجغرافية الأقرب إلى الاتحاد السوفيتي، ولاحقاً الصين، نظر إليها كساحات الحرب الرئيسية للحرب الباردةِ. النزاع والتَوَتّر في برلين، وجنوب شرق أوروبا، والشرق الأوسط، وكوريا، وبَدت فيتنام لإضافة التصديقِ إلى وجهةِ النظر الجغرافيةِ تلك، حتى ظهرت أزمة الصواريخ الكوبية البارزةِ عام 1962 والتي أثبتت أن الولايات المتّحدة كانت حساسة للغاية من حوض البحر الكاريبي المباشر بشكل جغرافي.

من المفارقات، مثلما أن مصطلح السياسات الجغرافية على المدى يفقد مصداقيته في الولايات المتحدة واليابان وبريطانيا وأجزاء أخرى من أوروبا، فقد ظهرت حجة أن استراتيجية الحرب الباردة الأميركية استلهمت ضمنيا الأفكار الجيوسياسية. حذرت وثيقة إن إس سي-68 في مجلس الأمن القومي، وتسليمها إلى الرئيس ترومان في أبريل 1950، من خطط الاتحاد السوفيتي للهيمنة على العالم والاستراتيجيات الجغرافية الممكنة لتحقيق هذا الهدف الأساسي. ورغم الاستخفاف بالعالم الثالث وتنوعه الجغرافي، فإن وثيقة إن إس سي-68 كانت لاحقاً كي تستكمل ما يسمى بنظرية الدومينو، التي حذرت من أن العالم الثالث كان عرضة للتوسعية المدعومة من الاتحاد السوفيتي. في غضون عشر سنوات من تشكيل منظمة حلف شمال الأطلسي في عام 1949، أنشأت الولايات المتحدة اتفاقيات أمنية في أستراليا (1951)، وآسيا الوسطى (1955)، ودخلت في ترتيبات أمنية ثنائية مع اليابان وكوريا الجنوبية.

وكان عدد قليل من الجغرافيين السياسي الأمريكان مثل كوهين الذي علّق صراحة على الحرب الباردة واستراتيجية الولايات المتحدة المتوافقة مع الأهداف العامة مثل احتواء الاتحاد السوفيتي، ولكنها حريصة على تسليط الضوء على تنوع هائل من العالم الثالث. في الرغبة لفهم الطموحات العالمية للاتحاد السوفيتي، حذر كوهين القراء الأميركيين أنهم لا ينبغي أن يقللوا من الفوارق الجغرافية، والثقافية، والسياسية العميقة، بين منطقة الشرق الأوسط، من جهة، وجنوب آسيا، من جهة أخرى. كان الاستراتيجيين الأمريكيين، مثل جورج كينان الذي كان يعمل في وزارة الخارجية في عهد إدارة ترومان، زعم إهمال تلك الخلافات الإقليمية، ورأى وثيقة إن إس سي-68 بمثابة تبسيطاً جغرافياً وقلق بشكل واضح من تمثيل الاتحاد السوفييتي تهديداً توسعياً، بلا هوادة، من الشرق.

الإحياء الجيوسياسي في الولايات المتحدة

كثيراً ما يعزو وزير الخارجية السابق هنري كيسنجر إحياء الاهتمام الأمريكي بالسياسات الجغرافية حتى لو كان استخدامه أكثر رسمية بكثير من تحوله مع نصراء القرن.



3. هنري كيسنجر، وزير الخارجية السابق ومستشار الأمن القومي.

كيسنجر، باعتباره لاجئ ومثقف ألماني، حلّلت أطروحته للدكتوراه تاريخَ القرن التاسع عشرِ الأوروبي للسياسات الجغرافية، ولم يكن عادياً من وزراء الدول في فترة ما بعد عام 1945(الشكل 3). وقال أن الثقافة كانت ذات ثقل في إدارة نيكسون، ومراقبة متقدة للحالة الجيوسياسية المتغيرة للحرب الباردة.

كان سياق الوقت حرج، والحرب الباردة كانت تدخل مرحلة جديدة من الانفراج النسبي، حتى لو كان الاتحاد السوفيتي، والولايات المتحدة، والصين، لا يزالوا متشككين من دوافع أحدهما تجاه الآخر، والطموحات الجيوسياسية.

الولايات المتّحدة الأمريكية غُمِرت في نزاعِ مكروهٍ للغاية في فيتنام، واستعمال كيسنجر لمصطلح السياسات الجغرافية كَانَ جزئياً، محاولة للبدء في التعامل مع المشهد الاستراتيجي الجديد. في معظم الأحوال، كما سجلت ليزلي هيبل، يستخدم هذا المصطلح لتسليط الضوء على أهمية التوازن العالمي والمصالح الوطنية المستمرة في عالم يتسم بتوازن القوى. حرصت على تعزيز علاقة جديدة مع الصين، ورأت أن هناك لموسكو "طموحات جيوسياسية" تتطلب الاحتواء على:

"التوازن كان اسم اللعبة. نحن لا نسعى للانضمام إلى الصين، في مواجهة مثيرة مع الاتحاد السوفيتي. ولكن اتفقنا على ضرورة كبح طموحات موسكو الجيوسياسية. تحدي بكين كان جدلي وفلسفي. إنها تعارض ليس فحسب التطلعات الجيوسياسية في موسكو، بل أيضاً أولويتها الأيديولوجية. اتفقنا على ضرورة إحباط الطموحات الجيوسياسية، ولكن كان لدينا سبب للانخراط في النزاع الأيديولوجي".

بينما تسعى الولايات المتحدة لاحتواء الاتحاد السوفيتي، كيسنجر اعتقد أن السياسة الخارجية الأمريكية الحالية كانت حريصة جداً على تعزيز الاستجابة العسكرية لهذه المعضلة. بدلا من ذلك، ما هو مطلوب كان، في حقبة من التراجع النسبي في الجيش الأميركي، وهو نهج يتسم بالمرونة واليقظة لاحتمالات سياسية جديدة مثل: تطوير العلاقات مع القوى الأخرى كالصين (انظر المربع 4).

مربع 4. أتباع السياسات الجغرافية

الجغرافيون السياسيين مثل جو شارب وجيمس تينر، يقولون أن التاريخ الثقافي للسياسات الجغرافية غالى بتأكيد أهمية أوروبا والأميركتين على حساب مهام أخرى. في أبحاثها على شرق أفريقيا، وشارب يستكشف كتابات الزعيم التنزاني السابق جوليوس نيريري وخياله الجيوسياسي الأفريقي، التي سعت إلى إيجاد "حل وسط" بين الجيوسياسية الثنائية في الحرب الباردة. وعلاوة على ذلك، تم الاعتراف بأن هذه التدخلات ما بعد الاستعمارية، على نحو متزايد باعتبارها تحدياً صريحاً للتنظير الجيوسياسي، أي امتيازات التفاهمات، وتجارب الدول الأوروبية، وأمريكا الشمالية، والثقافات، والنظام العالمي.

في جوهرها، لا تبني السياسات الجغرافية أتباع فقط على كشف الطبيعة الأوروبية من التنظير الجيوسياسي السائد، ولكنها كُلِّفت أيضاً بإنتاج حساباتها الخاصة في السياسة العالمية، والاعتراف بقابلية التأثر المشترك، والمصالح الجماعية، وتاريخها الماضي، والمناطق الجغرافية اللا متساوية. التابع في هذا السياق لا يعني أبداً التهميش أو التصغير، بل يعني موقفاً حاسماً تجاه أولئك الذين يدعون أن خبراتهم وفهمهم ينبغي الأخذ بهم عالمياً.

بالرغم من أن استعمال كيسنجر لمصطلح السياسات الجغرافية التي وُصِفت بأنها ضبابية ومبهمة، هو مع هذا طبقاً لمشاع بعض العلماء تعبير ضمن الثقافة السياسية الأمريكية، وأدّى إلى الانعكاس الأكاديمي الرسمي المجدّدِ بشأن الاستراتيجية العالمية. من حيث الشعبية، السياسات الجغرافية أعادت تقديم المناقشات بشأن سياسة الحرب الباردة بِجانب مجموعة كبيرة من المواضيعِ الأخرى التي تسعى إلى إيصال قضايا عالمية وإقليمية. بينما بِضعَة مُؤلفين امتلكوا تقدير تفصيلي لمصطلح التاريخِ الثقافي المعَذَّبَ، كلقب مفيد على ما يبدو، لإبْراز أهميةِ العوامل الجغرافيةِ في تَشكيل التَطَوراتِ السياسية والعسكرية.

وكانت شخصيات سياسية أخرى مثل مستشار رئيس الأمن القومي كارتر، البولندي المولد، زبيغنيو بريجنسكي، نصير حريص للسياسات الجغرافية، يستخدم هذا المصطلح للإشارة إلى رغبته في إسقاط المصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة في عصر تصاعد التوتر العالمي، وبالنسبة لأولئك الذين كانوا، في وقت لاحق، يتم تسميتهم بالمثقفين المحافظين الجدد، أشاروا للتوسع السوفيتي القاسي. قرار التمويل، ودعم مقاومة الاحتلال السوفيتي لأفغانستان في الفترة من 1979، والعِلم عبر الاعتقاد الجيوسياسي بأنّ توسّعِ آخرِ كَانَ لِزاماً عليه أَن يتم احتوائه، حتى إذا عَنى بأن الولايات المتحدة وحلفائها الإقليميين، مثل باكستان، دَعموا الوكلاءَ لكي يُقاوموا القوات السوفيتية. كما لاحظ الكثير، هذا القرار كان لديه نتائج مهمة، من جهة إلهام خَلق شبكةِ إرهاب القاعدة والمحاربين القساة المنتَّجينَ مثل أسامة بن لادن.

إحدى الفروعِ الأهمّ من إحياءِ السياسات الجغرافية تمثلت في خلق "لجنة الخطر الداهم"، التي تستخدم السياسات الجغرافية والمساعي الأكاديمية الأخرى مثل عِلم

السوفيت (دراسة الحكومة السوفيتية والمجتمع، وأحياناً يوصف بأنه "مراقبة الكرملين") ليؤكدوا أن أمريكا كان لزاماً عليها أن تهيئ للتخلي عن سياسة السلام، وميزان القوى، لصالح نهج أكثر عدوانية، والذي اعترف بأن الاتحاد السوفيتي كان عازماً على توسيع هيمنته على اليابسة الأوروبية الآسيوية بأسرها. بخيبة أمل مع إدارة كارتر الأكثر سلمية، هؤلاء المثقفين والمعلقين الأكاديميين، مثل كوليين جراي، روجوا لعرض الجيوسياسية العالمية، والتي، لاحقاً، يتم اعتمادها من قِبل إدارة ريجان.

السياسة الخارجية الأميركية اتبعت جدلاً الوكلاء المدعومين من الاتحاد السوفيتي في أمريكا الوسطى وأفريقيا، وبقوة أكبر دعمت الأنظمة المعادية للسوفيت في جميع أنحاء العالم الثالث. إذا كان هذا يعني، على سبيل المثال، دعم نظام صدام حسين في العراق وعدد لا يحصى من الأنظمة العسكرية في أمريكا اللاتينية، فليكن الأمر. تمركزت، لأجل قصير، الصواريخ النووية متوسطة المدى في بريطانيا وألمانيا الغربية، كجزء من محاولة لحلف الناتو؛ لتبديد أي محاولات للتوسعات السوفيتية، لبسط نفوذها في أوروبا الغربية والوسطى.

بحلول منتصف الثمانينات، والمناقشات الجيوسياسية داخل الولايات المتحدة تشكلت أساساً من مجموعة علماء، تأثروا بشدة بالواقعية السياسية والرغبة في الحفاظ على القوة الأميركية، في خضم ما يسمى بالحرب الباردة بعد انهيار السلام. مرة أخرى أصبحت السياسات الجغرافية تعبير اختزالي لتنافس القوى العظمى، وإشارة إلى أهمية سعي الولايات المتحدة لمصالحها الوطنية في عالم فوضوي. وكانت السياسة الخارجية للولايات المتحدة بقبضة ريجان، بالتأكيد، أكثر عدوانية من قبضة رئاسة كارتر، والعديد من المفكرين وصانعي السياسات المرتبطة بتلك الإدارة

أصبحوا يديرون أعضائها، لاحقاً، كجورج اتش دبليو بوش وجورج دبليو بوش. تعاون وزير الدفاع دونالد رامسفيلد بشكل شائِن مع صدام حسين في أوائل الثمانينات، كان مفيداً، في وقت لاحق، في تخطيط وتنفيذ غزو العراق عام 2003، والإطاحة بحسين وإعدامه، لاحقاً، في ديسمبر عام 2006.

نحو معارضة السياسات الجغرافية

في نفس الوقت تقريباً مثقفو السياسة قاموا بإعادة النظر في مصطلح السياسات الجغرافية في سياق الحرب الباردة، وغيرهم من الكتاب عملوا على استكشاف مفهوم مختلف بدلا من السياسات الجغرافية. في وقت لاحق، أطلق عليها اسم معارضة السياسات الجغرافية، وكان هذا النهج لا واقعي في لهجته وتوقعاته. كنهج لدراسة العلاقات الدولية، كانت الواقعية كبرى للغاية، خصوصاً في الولايات المتحدة. إنها تميل إلى افتراض أن الدول تسكن عالماً من الفوضوية؛ بسبب عدم وجود حكومة عالمية قادرة على تقييد أعمالهم. في ابسط أشكال الواقعية، يفترض أن المصلحة الذاتية وإسقاط السلطة كنتيجة، أمراً بديهياً. بالنسبة لكثير من كتاب الجيوسياسية، حتى لو أنهم لم يشيروا إلى بعض كهنة الواقعية مثل إدوارد هاليت كار وكينيث والتز، فإنهم عملوا ضمناً مع نموذج مشابه لتوقعات معظم الواقعيين. جنرالات أمريكا اللاتينية شغلوا بأمن دولتهم الوطنية في الستينات والسبعينات، وتزامنت وجهة النظر الواقعية العالمية، بشكل جيد مع الخيال الجيوسياسي المليء بالأخطار وتهديدات القوات الشيوعية داخل وخارج الدولة.

لمنتقدي هذا النوع من الواقعية وحي السياسات الجغرافية، هذا الرأي مستهجن من السياسة العالمية أحادية البعد، بمعنى الميل إلى المبالغة في تشديد الصراع والتنافس

على حساب التعاون والوفاق. وقد أثبت النظام الداخلي للدولة قدرته، وربما فاجئ بعض المراقبين، التعاون وتطوير المؤسسات المشتركة، والقانون الدولي، والهيئات الحكومية الدولية مثل الاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة. وعلاوة على ذلك، جيل جديد من الكتاب، مستلهم من التقاليد الفلسفية المختلفة، يشككون في ادعاءات الكتاب المستوحاة من الواقعية إلى مجرد "قل كما هو كائن".

بعبارة أخرى، بعيداً عن تقديم وجهة نظر العالم اللامهتمة بالسياسة العالمية، وشكلت على نحو عميق بمخططات تمثيلية معينة، التي تعكس بدورها الاتفاقيات اللغوية والثقافية. وربما كان من غير المفاجئ أن الواقعية ألهمت السياسات الجغرافية التي وجدت استقبالا حاراً في الولايات المتحدة، حيث أنه من الشائع للكتاب عرض تصاميمهم الكبرى للعالم، كما لو كانوا مراقبين لا يهتموا، يقولوا ببساطة لجمهورهم سلسلة من "حقائق الوطن!. (الشكل 4).



4. روبرت كابلان، الصحفي والمؤلف لانتقام الجغرافيا

كان للباحثات النسويات مثل دونا هاراواي أهمية خاصة في لفت الانتباه إلى ثلاثة أمور تتبع هذه الأوهام الثقافية. **أولا**، أننا بحاجة لاستكشاف كيف رصدت السياسات الجغرافية ومثلت جمهور معين. إذا أردنا فهم السياسة العالمية، فقد لزم فهم أنها مُشَبَّعُة بالمعنى الاجتماعي والثقافي. النظام السياسي العالمي الحالي ليس طبيعياً وحتميا، والقصص التي تحكي عن السياسة الدولية مجرد قصص. بعض الروايات بشكل واضح أكثر أهمية من غيرها، وبعض الأفراد، مثل رئيس الولايات

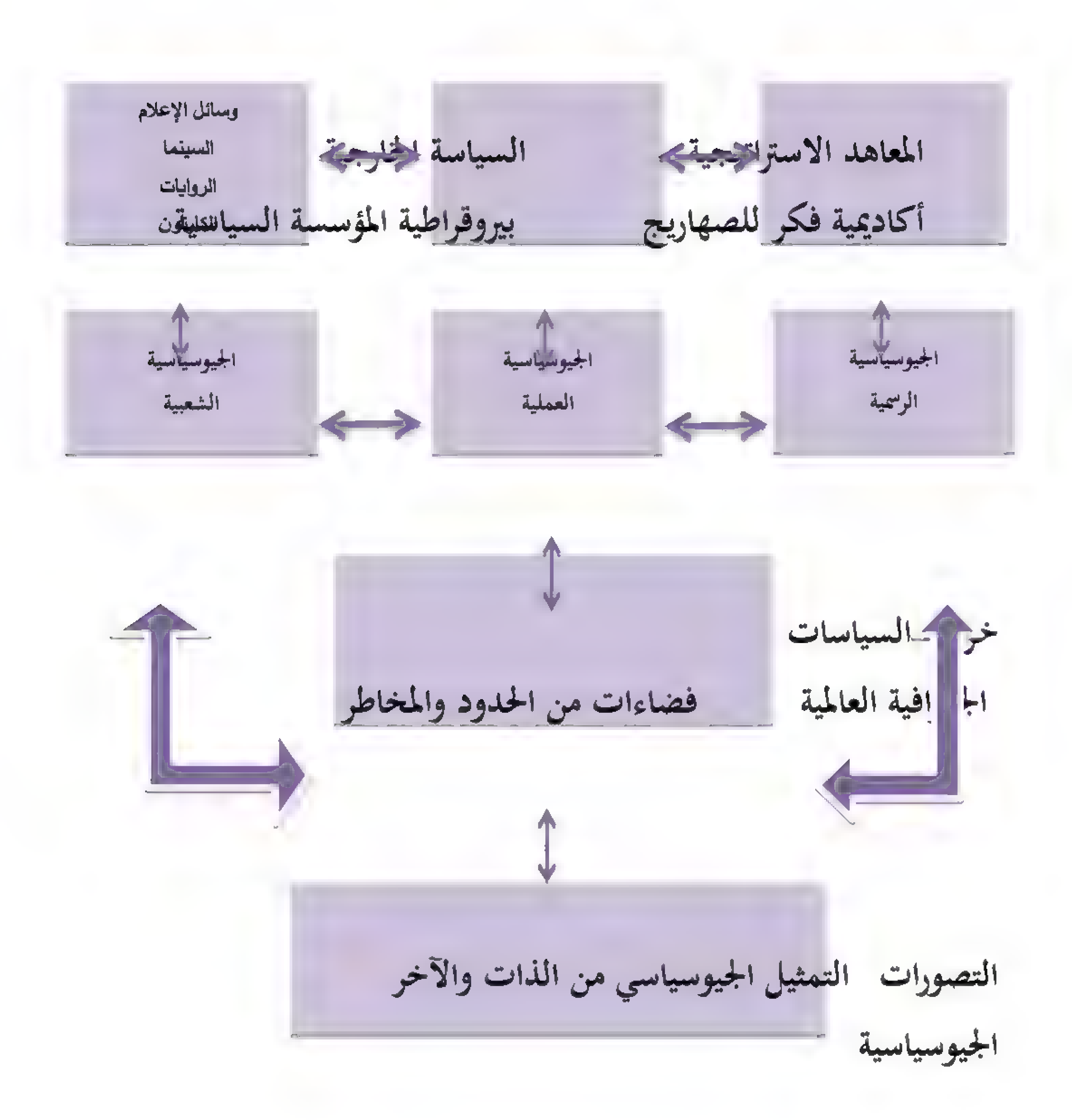
المتحدة ورئيس روسيا، صخباً بشكل خاص، ومؤكد في تحديد كيفية تفسير العالم. من هنا، الاهتمام العالمي بخطاب دولة الاتحاد كان عظيماً، كما أنه سيكون لخطاب مشابه، تماماً، تنتجه الدول القوية الأخرى مثل الصين وروسيا. وهل سنهتم كثيراً بشيء مماثل أنتجه زعيم سياسي في غرب أفريقيا أو أمريكا الوسطى؟ الاستثناء الحالي هو رئيس دولة فنزويلا المنتجة للنفط. انتقادات هوجو تشافيز حظيت بتغطية إعلامية مكثفة من إدارتي بوش وإعلاناتها، أن رئيس الولايات المتحدة هو "الشيطان"، ولم تنسها لهجتها اللا دبلوماسية، قدرتها بسط نفوذها على العالم، بقبضة ارتفاع أسعار النفط، وارتفاع الطلب من الولايات المتحدة والصين وأوروبا. عامة، يحدث تحول لعلاقات الولايات المتحدة وأميركا اللاتينية، بينما تُصبحُ حكومات يسار الوسطِ الإضافيةِ مُنتخبةً في أمريكا الجنوبية وجديدة، وفقا لتشافيز، "محور الخير" يأتي إلى حيز الوجود. **ثانياً**، كنتيجة طبيعية لما ذكر أعلاه، ينظر للسياسات الجغرافية كشكل من أشكال الخطاب، قادرة على إنتاج وتعميم التمثيل المكاني من السياسة العالمية. كان التركيز، هنا، على كيفية السياسات اللغوية ذات الصلة المستمدة من تفاهمات معينة للوضع الجيوسياسي الحالي، وهذا بدوره ساهم في سياسات الهوية، الذي كان حاسماً في تأمين شعور الولايات المتحدة بنفسها. في عصر تم تعريفه، إلى حد كبير، بالمعركة بين الأفكار والنفوذ، أقرضت الحرب الباردة نفسها لهذا النوع من التركيز الجغرافي وأعطيت اهتمام بقدر بعض المناطق الجغرافية المتصورة، كمظاهر الصراع الفعلي في أماكن مثل أفغانستان و/أو أمريكا الوسطى. وشملت تلك التصورات الجغرافية احتجاجات متكررة من الولايات المتحدة، في ظل إدارة ريجان، باسم "زعيم العالم الحر"، والاتحاد السوفيتي كإمبراطورية للشر المصمّمة على مخاطرة الحضارةِ الغربية.

ثالثاً، الجيوسياسية العالمية تتشابك بمسائل الجنسين وعوامل أخرى مثل العرق والطبقة. التجارب اليومية للنساء والأطفال، والاستراتيجيات التي يجب أن يتم اعتمادها، من أجل مواجهة لابد من الاعتراف بها تختلف اختلافاً جوهرياً عن تجارب العديد من الرجال، بغض النظر عن موقعهم الجغرافي والعمليات والهياكل الجيوسياسية والجيواقتصادية. مفاهيم مثل الأراضي، والحدود، واتخاذ النطاق، ذات معنى مختلف عند النظر لاغتصاب الحرب في جمهورية الكونغو الديمقراطية مقارنة لهجرة الشباب من شمال أفريقيا إلى جنوب أوروبا. إذا كانت الحدود السياسية العالمية يسهل اختراقها برأس المال بدلا من الناس، بل هي أيضاً أكثر عرضة للاختراق بشكل عام للرجال بدلا من النساء. كما استنتجت سينثيا إنلو، تحتاج السياسات الجغرافية العالمية إلى ربط المناطق الجغرافية اليومية، بالعلاقات بين الجنسين؛ لفهم أفضل للتأثير التفاضلي للحدود الوطنية، والأمن، والصراع، والهجرة.

من أجل فهم أفضل لكيفية عمل السياسات الجغرافية، قد اقترح الكتاب نقاد الجيوسياسية التقسيم الثلاثي: رسمي، وعملي، وشعبي (الشكل 5). تتعلق الرسمية، موضوع هذه الوحدة، بكيف أن الأكاديميين والمعلقين بوعي ذاتي احتجوا على التقاليد الثقافية المرتبطة بالسياسات الجغرافية؟ الجيوسياسية العملية تشير إلى القوالب السياسية ذات المنحى الجغرافي، المستخدمة من قبل القادة السياسيين مثل الرئيس بوش؛ لأنها تمثل السياسة العالمية. وأخيراً، السياسات الجغرافية الشعبية تشمل دور وسائل الإعلام وغيرها من أشكال الثقافة الشعبية، التي يستخدمها المواطنين لفهم الأحداث في حياتهم الخاصة، والبلد، والمنطقة، والعالم بأسره. مترابطة

جميع الأشكال الثلاثة، كالكُتَّاب الأكاديميين والصحفيين، يتبادلوا الأفكار والخطابات بشكل روتيني مع بعضهم البعض، وكلا الفريقين لديهم اتصالات منتظمة مع المسؤولين والمؤسسات الحكومية. منغمسون، أيضاً، في وسائل الإعلام والثقافة الشعبية.

الأطر الجيوسياسية يُمكنها مُساعدَة الأفراد والمجموعات ليفهموا العالم لأنفسهم ولجمهور أوسع. عبارات مثل "محور الشر" تَجذبُ انتباها؛ لأنهم صمموا لتَبسيط السياسة العالمية وتحديد مكان الأصدقاءِ والأعداء. الرؤساء ورؤساء الوزارات قد يَستعملونَها أولياً (أحياناً بشكل غير حكيم)، لكن هذه الأنواع من التجريد المكاني الكبير تُثير وتُروّج للمُناقشات بين الصحفيين، المثقّفين، وتقرأ ويصغى إليها من الجمهور العام.



الشكل 5: السياسات الجغرافية الرسمية، والعملية، والشعبية.

قد جادل الجغرافي السياسي جيرارد أو توثيل، بأن هذا المخطط الثلاثي موجود ضمن ثقافة الجيوسياسية، الذي يشكل لقاء دولة بالعالم. الموقع الجغرافي البريطاني على حافة أوروبا، في حين لا ينبغي أن ينظر إليه على أنه قد قرر سلفاً نتائج سياسة معينة، مثل الالتزام بعملية تكاملية أوروبية، فقد كان واضحاً بالضرورة في تشكيل التفسيرات الثقافية للموقع الجغرافي. كانت الخبرات العظمى، أيضاً في زمن الحرب عندما اضطرت بريطانيا للدفاع عن أراضيها الوطنية من القوات الألمانية، بما في ذلك عمليات القصف والهجمات الصاروخية المقترنة بالغارات. ومن هنا جاءت الصدمة والإذلال الذي شعر به بعض السياسيين مثل رئيسة الوزراء مارجريت تاتشر عندما وردت أنباء أن جزر فوكلاند قد تعرضت للغزو من قبل الأرجنتين في أبريل 1982.

شهد القادة السياسيون والصحفيين بسرعة التشابه مع الحرب العالمية الثانية في محاولة لتفسير إرسال فريق عمل القوات البحرية، الذي كان سائداً في نهاية المطاف ضد القوات الأرجنتينية في يونيو 1982. وخلال الصراع نفسه، ضمنت تاتشر أن بريطانيا حصلت على دعم من الولايات المتحدة، وكانت الدول وهذه "العلاقة الخاصة" حاسمة في ضمان الحصول على معلومات الأسلحة والأقمار الصناعية، بشأن الانتشار العسكري الأرجنتيني. كما هو الحال مع رئيس الوزراء بلير بشأن العراق، وضعت تاتشر أهمية كبيرة على العلاقة الأنجلو أمريكية على حساب التقليد الجيوسياسي على أساس بريطانيا الأوروبية (انظر المربع 5).

مربع 5. التقاليد الجيوسياسية البريطانية الأربعة:

1. إنجلترا / بريطانيا الصغرى.

2. بريطانيا العالمية.

3. بريطانيا الأوروبية.

4. بريطانيا الأمريكية.

(مقتبس مِن تيموثي جارتون آش، عَالَم حر، 2004)

بالمثل، إذا أردنا فهم الثقافة الجيوسياسية الروسية على نحو أفضل، ونحن في حاجة إلى تقدير، كما أشار الجغرافي جراهام سميث، كيف يمكن للقادة السياسيين والصحفيين الاحتكام للتقاليد الجيوسياسية الثلاثة المنفصلة. أولاً، الفكرة القائلة بأن روسيا جزء من أوروبا، وأن البلاد بحاجة إلى تبني النماذج الغربية للتنمية الاجتماعية والاقتصادية. ثانيا، روسيا هي الأراضي الأوروآسيوية المميزة، مع شكل خاص بها من الدولة والمجتمع. وأخيراً، روسيا، مثل بريطانيا، "الجسر" في هذه الحالة بين أوروبا وآسيا.

في بعض أوقات، قد يكون تقليدا جيوسياسياً معيناً المهيمن على الآخرين، مثل تقرير الرئيس جورج دبليو بوش الظاهر لمتابعة الرؤية الجيوسياسية العالمية للولايات المتحدة الأمريكية، التي تشعر بالقلق مع الهيمنة الأمريكية والقدرة على قوتها من أجل تأمين المصلحة الوطنية؛ وحماس الرئيس الروسي فلاديمير بوتين لروسيا كونها "قوة طاقة عظمى" وجود واضح على الساحة العالمية المستقلة من الجيران الأوروبيين والآسيويين.

هذا النوع من تقدير الجيوسياسية كمؤسسة ثقافية أوسع، أمر لا يخلو من سابقة. عبر التاريخ الثقافي الجيوسياسي، هناك أمثلة على الأفراد والجماعات التي تلتزم لأشكال مختلفة من التحليل الثقافي والتاريخي، مثل تلك التي وجدت في الجيوسياسية النقدية اليوم. عمل إيف لاكوست الباريسي وزملائه يستحق بعض الإشارة إليه، لاكوست كان واحداً من أوائل من نظروا، حقاً، كيف كانت الجيوسياسية شكلا من أشكال المعرفة السياسية والاستراتيجية. كتب كتاباً عام 1976، مع اللجوء لعنوان باللغة الإنجليزية "الجغرافيا فوق الجميع"، وإذ ساوره القلق من صناعة الحرب، عقب اهتماماً سابقاً في الطريقة التي يستخدمها

المخططون العسكريون الأمريكان، لمعرفة جغرافية فيتنام الشمالية؛ لاستهداف الأنهار والغابات في أجل إلحاق الإبادة البيئية (بمعنى آخر: التدمير المتعمد للنظم الإيكولوجية المحلية من أجل إضعاف الخصوم) على السكان المحليين.

فحصَّ النظريات الجيوسياسية، أيضاً، الرئيس التشيلي "بينوشيه" الذي كان أستاذ سابق للسياسات الجغرافية في كليَّةِ الحربِ التشيليةِ في الستّيناتِ. ولاحقاً طرح مجلّداً عن الجيوسياسية، والذي دعا فيه لوجهة نظر الدولة ككائن حي ممتاز، ويمكن القول أنه وضع النظرية موضع التطبيق عندما ساعد في إزالة الحكومة الاشتراكية لسلفادور الليندي في 11 سبتمبر 1973. الدعم الأمريكي حُكِمَ لكي يكون حاسماً، وهنري كيسنجر، الذي كان وزيراً للخارجية، أشار ذات مرة لتشيلي، حينما:

[أنا] لا أَرى لماذا نَحتاجُ للوَقوف بجانب ومُرَاقَبَة بلاد تَذهبُ للشيوعية، بسبب عدم مسؤولية شعبها. إن القضايا الضرورية كثيرة للغاية للناخبين التشيليين، الذين سَيُترَكون للتَقرير بأنفسهم.

حَجَّج لاكوست بأن الكتاب الجيوسياسيين يحتاجوا إلى أن نقدوا أنفسهم بالأحرى، ويؤدون دورهم في فضح كيف أن السياسات الجغرافية متورطة مع عبارات العسكرية وسلطة الدولة. وواصل صاحب مجلة "هيرودوت" إلى أَنْ تصبح المجلّةَ الجغرافيةِ الأعظم انتشاراً في العالمِ الناطق بالفرنسية، وتنشر تحليلات نقدية عن الأحداث المعاصرة مثل الحرب العالمية على الإرهاب. وعلى الرغم من أن لاكوست لاحظ ذات مرة أنه "ليس في الذوق السليم الإشارة إلى الجيوسياسية"، فقد دعا إلى إتباع نهج الموضوع الذي قُدِم من قبل التحليل الإقليمي الحاسم (أي مما يدل

على تقدير الاختلافات المحلية والإقليمية) وفهم الاتصالات بين المعرفة الجغرافية والممارسة السياسية.

إذا السياسات الجغرافية جديرة بمزيد من التفكير النقدي، فهذا بالضبط لأنها اجتذبت قدراً كبيراً من الاهتمام الأكاديمي والشعبي، في كثير من الأحيان، مع التقدير القليل من تاريخها الثقافي المثير للجدل. الرؤساء ورؤساء الوزراء، والنقاد، يحبون هذا المصطلح. يفيد للتعامل مع المخاطر، والتهديدات، والفضاء، والطاقة. فهو يساعد على تفسير العالم في قوالب جغرافية بسيطة مثل العالم الثالث الذي غالباً ما يظهر لديهم صلابة مطمئنة. كما يسمح للمستخدمين التكهن بشأن الاتجاه المستقبلي للسياسة العالمية. الصحفيين والمعلقين الأكاديميين كثيرا ما يستندوا إلى السياسات الجغرافية، عندما كانوا يرغبون في تعزيز التنمية الكبرى القادمة، ما إذا كان هو صدام الحضارات، وصعود الصين، ونهاية التاريخ (والجغرافيا)، والقرن الأمريكي الجديد، أو فكرة أن الأمريكيين والأوروبيين يتجهوا إلى سوء فهم بعضهم البعض؛ لأنهم يحتلون الأكوان الجيوسياسية المختلفة.

الاستنتاجات

في الجزء الأخير من نظرتنا العامة الموجزة عن الجيوسياسية كمصطلح ثقافي مرة أخرى للولايات المتحدة والعالم الناطق باللغة الإنجليزية. وكما أشرت في الأقسام السابقة، هذا الحساب من الضروري أَن يُتمم مع كلمة الحذر. القصة المعروضة هنا يمكن وصفها بأنها واحدة من المنبثق، سمعة سيئة، الهبوط، والإحياء. مع ذلك، إذا كان هذه الوحدة قد ركزت فيه على تجارب أمريكا الجنوبية، فقد ظهرت قصة مختلفة جداً. لشيء واحد، نحن لم يكن لدينا التَعَلُّق بأنفسنا، بنفس الدرجة، بوصمةِ العار المزعومةِ للنازية. في أماكن مثل الأكاديميات العسكرية من الأرجنتين والبرازيل وتشيلي وباراجواي، والتي تتمتع بعلاقات وثيقة مع الجيوش الإيطالية والألمانية، واصل ضباط الجيش التعليم والنشر في المجال الجيوسياسي طوال فترة ما بعد عام 1945.

الكتابات الجيوسياسية الألمانية تُرجمت إلى الإسبانية والبرتغاليِة، في الوقت الذي كان فيه الجغرافيون الأمريكان يَحُثّونَ نظائرَهم لتَفادي المصطلح ودلالاته المقيتة. في القارة التي تهيمن عليها الأنظمة العسكرية لمعظم فترة الحرب الباردة، ازدهرت السياسات الجغرافية دون القلق الرسمي الشديد حول الاتصالات بالنازية والسياسات المرتبطة بها من التوسع المكاني وهيمنة المكان.

الباحثون السوفييت الذين لا يزالوا يعتبروا الجيوسياسية ملوثة فكرياً مع النازية، لم يرحبوا بهذا الاهتمام الإحيائي، خاصة في الثمانينات. في حين أن هناك أكثر بكثير من الانخراط الرسمي مع هذا المصطلح في روسيا بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، فقد لعبت ذكريات الحرب العالمية الثانية وما يرتبط بها من خسائر فادحة في

الأرواح السوفيتية دوراً في تشكيل ردود الفعل الأكاديمية لهذا الارتباط الشغوف الجديد في أمريكا الشمالية وأوروبا الغربية. بعد خمسين سنة، بدا هذا وصمة عار فتم رفعه، وجيل جديد مِنْ المعلّقين الروس والأوزبكيين اليمينيين بشكل رئيسي استخدموا كُتّابَ السياسات الجغرافية السابقينَ مثل هالفورد ماكيندر، على وجه الخصوص، للنظر في مصائر جيوسياسية بلدانهم. منطقة واحدة من الاهتمام المتزايد الأهمية الاستراتيجية لمنطقة آسيا الوسطى وظهور ما يسمى ب"اللعبة الكبرى" بين الولايات المتحدة والصين وروسيا. سعت الولايات المتحدة والصين، لدق ناقوس الخطر من روسيا، لتوسيع الاستثمارات العسكرية والموارد، في منطقة تتميز بموارد النفط والغاز الطبيعي الغير مستغلة إلى حد كبير في بحر قزوين.

والنقطة الأخيرة أن أؤكد مجدداً، بغض النظر عن التاريخ الثقافي المتنوع للسياسات الجغرافية، بأن المقطع الأخير عن السياسات الجغرافية النقدية لا ينبغي أن يساء فهمه. إن مجموعة صغيرة من العلماء في الولايات المتحدة، وأماكن أخرى، فقط يصفون أنفسهم بالعلماء الجيوسياسيين النقديين. في معظم البلدان، بما في ذلك الولايات المتحدة، ومعظم الأشخاص الذين يستخدمون مصطلح السياسات الجغرافية، قليلو الاهتمام بفهم أن التاريخ الثقافي ملتوي. وعلاوة على ذلك، فإنهم يستخدموا الجيوسياسية كمصطلح مختصر، يقصدوا به عادة استثمار عملهم بنوع من الاحترام والرغبة، والاستعداد للتفكير، وتقديم تقرير بناء على الحقائق الجغرافية الشرسة للسياسة العالمية. الكتاب مثل المعلق الأميركي الشهير توماس بارنيت كثيرا ما يزعم، بطريقة تذكرنا بكتاب الجيوسياسية في وقت سابق، القدرة على رؤية العالم وتقديم تنبؤات واثقة نحو تكوين المستقبل، عادة لصالح بلد معين في مقابل الآخرين.

يهدف الكتاب الجيوسياسيين النقديين، التدقيق في تلك المطالبات، وعند الاقتضاء، اقتراح طرق جغرافية أخرى للتمثيل وفهم العالم. يمكن أن يشمل ذلك، على سبيل المثال، وضع التركيز على الأمن البشري والطبيعة النوعية من السياسات الجغرافية العالمية، ويعني في كثير من الأحيان أن النساء والأطفال هم أكثر عرضة وقابلية للعنف الجيوسياسية وعدم المساواة الاقتصادية الجيولوجية. وغالباً ما يحاول هذا العمل لتحرير الشعوب من الهياكل الجيوسياسية القمعية ويعزز التفاهم الجغرافي لعالم أكثر عدالة. وهذا يشمل، على سبيل المثال، ووضع مزيد من التركيز على الطبيعة النوعية من السياسة العالمية وعدم المساواة الجغرافية الاقتصادية في النظام التجاري العالمي.

الوحدة الثالثة

البنى الجيوسياسية

في العقود الأخيرة، المصطلح الاختزالي الأكثر أهمية يستخدم من قبل القادة السياسيين والصحفيين والمعلقين الأكاديميين لوصف وتفسير التغيير السياسي والاقتصادي العالمي هو "العولمة". منذ الثمانينات، أصبح مهيمناً، تقريباً، في الأوساط الأكاديمية وصنع السياسات، وتم اعتناقه بسهولة من قبل الرئيس بيل كلينتون وتوني بلير في التسعينات، على سبيل المثال. ضمن المناقشات المتنوعة، كثيرا ما كان يفترض أن العولمة تحول العالم من حولنا، والحكومات والوكالات، مثل منظمة التجارة العالمية والأمم المتحدة وصندوق النقد الدولي، إما تشجع أو تكافح التعامل مع وتيرة واضحة للتغيير. ونتيجة لذلك، الأراضي والحدود الدولية تبدو أقل أهمية في تشكيل الشؤون الإنسانية، حتى أن بعض المعلقين مثل ريتشارد اوبراين أشاروا إلى "نهاية الجغرافيا".

لكن الأمور تغيرت في السنوات الخمس الماضية. بدلا من الاشتراك في هذا الرأي عن العولمة أصبح مصطلح غير مؤهل للصالح العالمي، وهذه الوحدة يوضح كيف تتعايش العولمة مع البنية الجيوسياسية التي تنطوي على الدول والهيئات غير الحكومية الأخرى، والتي تبعد عن تآكل أهمية الحدود والأراضي والمساهمة في ديناميكية وإعادة ترتيب التفاوت الشديد. في حقبة ما بعد الحرب الباردة، الطريقة التي ننظم بها عالمنا وتحديد أدوار ومسؤوليات منظمات مثل الأمم المتحدة وسلوك الدول قد تعرضت للتدقيق مكثف (انظر مربع 6).

مربع 6. الجدران والمشاريع الأمنية

إحدى أقوى الوسائل التي تنص على تسجيل تصميمهم على السيطرة أو (المحاولة على الأقل) تنظيم قابلية الحراك لبناء الجدران والحواجز. الجدار قد يمنع تنقل الأشخاص والأشياء، ولكن أيضا قد تساعد على تنظيم الإبطاء، للمراقبة والتحكم في نهاية المطاف. مع ذلك، الجدران والحواجز يمكن التحايل عليها، هدمها، وتجاهلها. يمكن للجدران أيضاً إنشاء اقتصاد "السوق السوداء" التي تنطوي على المهربين وعصابات الإجرام، مسؤولي الحدود الفاسدين، والمواطنين من جميع أنحاء العالم في محاولة لتمرير من خلال هذه الحواجز. الكثير سيفشلون، البعض سيضر بشكل خطير، والبعض الآخر سيموت ميتة فظيعة في وحول المنطقة الحدودية. تشمل بعض الجدران والحواجز أبرز الحدود بين الولايات المتحدة والمكسيك والجدار الأمني في الضفة الغربية، والتي تم الإعلان عنها بغير شرعيتها، وينظر لها على نطاق واسع، بأنها محاولة من قبل الحكومة الإسرائيلية إما لاستعمار المزيد من الأراضي و/أو جعل المجتمعات الفلسطينية أقل استدامة.

هذه الجدران والحواجز تقف في تناقض واضح للأفكار والممارسات المرتبطة بالعولمة مع التركيز الواجب على التنقل والتبادل عبر الحدود. إذا كان أي شيء، في خضم الحرب على الإرهاب، أحرز المزيد من الاستثمارات في تنظيم ومراقبة التنقلات من الناس والأشياء، لكن مثل هذه الأنشطة هي تبايناً كبيراً من الناس الذين يعيشون ويعملون في جميع أنحاء هذه الجدران الأمنية، تعلمت الالتفاف حول زمرة من التعليمات والممارسات الأمنية، الرسمية وغير الرسمية.

لكن ما العولمة، قبل أن ننظر في تكوينات معاصرة أكثر؟ يشير المصطلح إلى حركة الناس والأفكار، والتكنولوجيا، والبضائع من مكان إلى آخر مع آثار المقابلة للعلاقات الإنسان. منذ القرنين الخامس عشر والسادس عشر، وأصبحت هذه التدفقات تدريجياً أكثر كثافة، وغالبا مع كانت آثارها خطيرة على السكان الأصليين في ما كانوا، في وقت لاحق، وصفوها بأنها العوالم الأولى، والثانية، والثالثة. كانت هولندا والبرتغال وإسبانيا وبريطانيا وفرنسا في طليعة هذه الشركة العالمية وبادروا بـ "اللقاء الاستعماري" للتجارة العالمية في السلع والناس بما في ذلك العبيد. الكيانات العالمية مثل شركة الهند الشرقية الهولندية، بمساعدة من كفلائهم الإمبراطوريين، ساعدت في بناء وإدارة شبكات التداول تلك. وبحلول القرن التاسع عشر، بدأت قوة قارية جديدة، الولايات المتحدة، في صنع وجودها من حيث تدفقاتها من الناس والبضائع والأفكار إلى جانب الاستحواذ على الأراضي في المحيط الهادي والبحر الكاريبي.

كما تحقق الاقتصاد العالمي على نحو أبعد، في نفس الفترة، وزادت الحاجة للتنسيق الدولي، وأنشأ مؤتمر الميريديان الدولي عام 1884 "جرينتش" كخط طول رئيسي، وبالتالي سهلت خريطة العالم الجديدة المتفق عليها المناطق الزمنية. شهد القرن العشرون أشكال أكبر من التواصل الاجتماعي، والسياسي، والثقافي؛ بسبب التقدم في مجال الطيران، والسيارات، والحاويات. في نهايته، اتسع النظام الدولي وتعمقت الجغرافيا في معنى الحيز المادي فلم يعد يبدو معضلة. تبعاً للصحفي توماس فريدمان، كان عام 2000 علامة مائية عالية للعولمة باعتبارها تكنولوجيا

البرمجيات وجلب الإنترنت للناس والموضوعات معاً، أقرب من أي وقت مضى. (الشكل 6).



6. اجتماع المنتدى الاقتصادي العالمي في دافوس، سويسرا. الروسي فلاديمير سبيفاكوف قائد الفرقة الموسيقية، وقاعة الموهوبين لأوركسترا موسكو، يتلقوا التصفيق في حفل الافتتاح، 22 يناير 2013.

في حين أن "نهاية الجغرافيا"، مثل "نهاية التاريخ"، وقد أعلن ذلك كثيراً، أبرزت مناطق جغرافية متنوعة، للعولمة، أهمية الحدود، وبعد المسافة، والترابط، والمسؤوليات. منذ القرن السابع عشر، وقد سعت الدول الأوروبية وغيرها، في وقت لاحق، مثل الولايات المتحدة، بنشاط نحو إدارة العلاقة بين الأراضي الوطنية والتدفقات المرفقة من الناس، والسلع، والأفكار، والمال.

في القرن التاسع عشر، كما لاحظ جيريت جونج، بشرت مؤسسة "معايير الحضارة" التي مكنت الدول الأوروبية لتحديد الشكل، الحالي والمستقبلي، للنظام

الدولي والمعايير التي حققت للدول الجديدة الاعتراف القانوني عبر شكل من أشكال "السيادة المكتَسَبة'. هذا الأخير في كثرة مظاهره وتنوعها، عنصراً أساسيا من العولمة؛ لأنه ساعد على توفير "قواعد" و "توقعات" للنظام العالمي. الولايات المتحدة، كقوة عظمى، كان في الماضي القريب من طليعة إرساء مثل هذا النظام القانوني الدولي. وكان لها دور في إنشاء مؤسسات ما بعد عام 1945 مثل الأمم المتحدة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام 1948. في ميثاق الأمم المتحدة، على سبيل المثال، نص بقبول أن مجلس الأمن لديه الحق في تحديد ما يشكل تهديدا للسلم والأمن الدوليين، والدول يجب عليها أن تتوافق مع سيما القرارات المتعلقة بهذا. في العموم، كانت هناك فجوة بين السيادة القانونية والسيادة الفعلية، بمعنى أن "السيادة" قد تعرضت للإساءة، التقسيم، والمشاركة فيها. حاولت الدول أيضاً حماية وحفظ "السيادة" سواء كانت تتضمن بناء الحواجز، وتقييد التنقلات، أو الانخراط في العدوان الإقليمي ضد الآخرين.

مفهوم "الإساءة" حيوي؛ لأنه في السنوات الخمس الماضية شهدنا زيادة أدلة على أن المواطنين، في جميع أنحاء العالم، قد نزلوا إلى الشوارع للاحتجاج على بنية جيوسياسية معينة، والجمع بين العولمة وأمن الليبرالية الجديدة. في أواخر عام 2010، المتظاهرون في تونس عجلوا بالحركة الاجتماعية، الذي عرف فيما بعد ب"الربيع العربي"، والذي كان له الفضل في إثارة تغيير النظام (أو التهديد) في منطقة الشرق الأوسط. في نفس الوقت، الحركات الاجتماعية، مثل "حركة احتلال"، كانت تعمل أيضاً بنشاط متزايد في جميع أنحاء العالم، لتسليط الضوء على ما وصفوه ب'99٪ " من المواطنين الذين يتم استبعادهم من الفوائد المرتبطة بالعولمة. بعيداً عن كونه على صلة مباشرة ب "الصالح العام"، الأشكال المعاصرة

للعولمة، كثيراً ما توصف بأنها الليبرالية الجديدة، وينظر إليها على أنها مفيدة لقطاع الأعمال والنخب الحكومية، وخاصة في المجتمعات الطبقية للغاية، مثل الولايات المتحدة والمملكة المتحدة، ولكن ليس على سبيل الحصر. كان الفضل لحركة احتلوا، في أوجها، في تحفيز الاحتجاجات نحو أكثر من 80 بلد و 900 مدينة (الشكل 7). واندلاع أزمة مالية وركود حاد (2007-2008 فصاعداً) أضافت المزيد من صدى لهذه الاحتجاجات، كما بدأت الحكومات في الترويج لسياسات التقشف وتخفيض النفقات.



7. حركة احتلوا لندن في كاتدرائية القديس بولس، أكتوبر 2011– فبراير 2012.

يتم استخدام مصطلح البنية الجيوسياسية لوصف الطرق التي تدير بها الدول والمنظمات غير الحكومية، وتنظيم تقاطع الأراضي والتدفقات، وبذلك وضع الحدود بين الداخل /الخارج، المواطن/الأجنبي، والمحلية/الدولية. ومن الناحية التاريخية، كانت هناك سلسلة من هذه البني الجيوسياسية التي تعيد اهتزاز العلاقة بين المساحات والتدفقات. الحكومات، على سبيل المثال، تستثمر بشكل كبير في تنظيم الحدود؛ لأنها توفر نقطة الدخول/الخروج إلى التراب الوطني. أصبحت هذه الرقابة على الحدود، أيضاً، عنصراً هاما في إثبات السيادة الفعلية. من أجل فهم تلك التحولات والآثار المترتبة على التنظير الجيوسياسي، نحن بحاجة إلى النظر لموضوعين أساسين أولاً، فعالية السيادة، وكيفية إخطارها لأنشطة الدولة، وثانياً، البنيان الجيوسياسي للقرن العشرين والآن في باكورة الحادي والعشرين، الذي يسلط الضوء على كيفية محاولات الدول المعينة، لمراقبة وتنظيم المساحات التي يعتقد بأنها غير منضبطة وغير محكومة.

السيادة الوطنية والنظام الدولي

الأفكار والممارسات المرتبطة بالسيادة أمراً حاسماً في تشكيل البنية الجيوسياسية السائدة، القائمة على الدول، والحدود، والأراضي الوطنية. كما لاحظ ستيفن كراسنر، والحكومات الوطنية، في حين المصادقة على أهمية السيادة، كثيرا ما انتهكت تلك الأفكار والمبادئ، كما وردت في ميثاق تأسيس الأمم المتحدة. وبصرف النظر عن الغزوات الكبرى على البلدان، فإن من سلطات الدولة في كثير من الأحيان التجسس، والمسح، وتنفيذ العمليات السرية التي تنتهك السيادة الإقليمية للدول الأخرى. وللولايات المتحدة قدرات المراقبة والتجسس في جميع أنحاء العالم؛ ذلك بفضل وكالات متخصصة مثل وكالة الأمن القومي ووكالة الاستخبارات المركزية.

الحكومات تسمح طوعاً للسيادة الوطنية بالانتهاك من خلال تشجيع تدفقات معينة من الاستثمار، والناس الماهرون، والأفكار. منذ توسيع الاتحاد الأوروبي، شجعت الحكومة البريطانية على هجرة العمال من دول مثل بولندا وسلوفاكيا. وفي حالات أخرى، قد نادت الحكومات للتدخل الإنساني و/أو العسكري، عندما تواجه مع الأدلة الدامغة معاناة وانتهاك حقوق الإنسان. في بعض الأحيان، قد تبدي الحكومات عن الغضب إزاء انتهاكات السيادة، بينما تشجع سرا مثل هذا الترتيب. غارات أمريكية بدون طيار في باكستان قد تقع في هذه الفئة، و"الغضب" الظاهر والموجه نحو تأثر المواطنين المحليين.

للتفكير في السيادة، كلبنة أساسية من البنيان الجيوسياسي، فإنه من المفيد التمييز بين أربعة أنواع مختلفة من التفسير. **أولا**، المعلقين كثيراً ما يشيروا إلى المظاهر

القانونية الدولية للسيادة في شكل العضوية بالأمم المتحدة، والقدرة على التفاوض، والتصديق على المعاهدات، جنباً إلى جنب مع الأعمال العامة المرتبطة بالدبلوماسية. في قلب هذه الأنشطة الفكرة التي تعرف الدول والدول الأخرى، وبالتالي تقبل أن لديهم القدرة الكامنة على إقامة علاقات دولية. حتى لو يكرهوا الحكومات الأخرى، على الدولة وقيادتها السياسية، بأن هذا الاعتراف الأساسي جوهري. في الأسابيع والأشهر التي سبقت غزو العراق عام 2003، كانت الولايات المتحدة وحلفائها يتفاوضوا وشغلوا مع الممثلين الدبلوماسيين لصدام حسين في الأمم المتحدة. في حالات أخرى، قد لا تعترف بعض الدول بقدرة الدول الأخرى على إقامة علاقات دولية، على وجه التحديد؛ لأنها تعتبر غير قادرة على إدارة أراضيها الوطنية، ناهيك عن التعامل مع العالم الأوسع. مصطلحات مثل "الدول الفاشلة" استخدمت لتعني أن بعض البلدان في مناطق مثل غرب ووسط أفريقيا، يمكن أن لا تدعي السيطرة المطلقة على أراضيها، ولا تأمين النظام الداخلي "شبه دول". بعبارة أخرى، الحكومات الغربية، في كثير من الأحيان، تمثل دول مثل الصومال و/أو جمهورية الكونغو الديمقراطية بأنها غير كافية، وعلاوة على ذلك، غير قادرة على تنظيم تدفق المخدرات، والمال، وتهريب الأسلحة.

من المهم التذكير بأن، مع ذلك، بعض أوائل كتاب الجيوسياسية مثل كيلان اعترضوا على هذا المفهوم القانوني المفرط للسيادة على وجه التحديد؛ لأنه أهمل حقيقة أن السياسات الجغرافية العالمية كانت متنوعة للغاية. من المصطلحات مثل "الدولة الفاشلة" يعترف جزئياً بأن قدرات الدول تختلف حتى لو كانت تتمتع باعتراف دولي مماثل للآخرين. **ثانياً**، قد نعتبر السيادة مرهونة بالترابط. في عصر العولمة الحادة، فمن غير مفيد افتراض أن الدول تتمتع بسيطرة حصرية على

أراضيها والتدفقات المرفقة مع مستويات المرتبطة بقابلية الحركة. وحتى البلدان الأكثر نفوذاً في العالم مثل الولايات المتحدة والصين، كانت على الاعتراف، في طرقهم المختلفة، بأن الاعتماد المتبادل، بينما لم تتآكل السيادة السياسية تماماً، فمع ذلك أجريت التعديلات وصنعت السياسات. في بعض مجالات الحياة الاجتماعية، مثل تلك المغلفة من قبل الأمن الوطني، حاولت الدول للرد على الترابط من خلال تعزيز الحكومي، وفي حالة أحزاب الاتحاد الأوروبي السبعة وعشرين، والسيطرة الإقليمية في هيئة الهجرة، والمراقبة، في حين تتقاسم أو حتى تمنح سيادة رسمية في مجالات مثل حماية حقوق الإنسان والتعاون الاقتصادي. ويشار إلى هذا أحيانا باسم "السيادة الحاشدة". **ثالثاً،** قد تنظر للسيادة وفق شروط محلية بحتة، تعرف بأن بعض الدول أكثر قدرة من غيرها على ممارسة السيطرة على أراضيها الوطنية. أن تقارن على نحو كامل بين الولايات المتحدة وجمهورية الكونغو الديمقراطية، كما تم استهلاكها، هذه الأخيرة، من خلال سلسلة من الصراعات منذ أواخر التسعينات، مما أدى إلى وفاة الملايين، والاغتصاب الجماعي للنساء والفتيات، وتدمير القرى. الحكومة الوطنية التي مقرّها في كينشاسا لا تُمارس مراقبة فعّالةَ على أرضِها الكبيرة، وهذا شجّع بلدان أخرى للمُساهمة في عدم الاستقرار بتمويل الجيوش الشعبية المنافسة. أثناء الحرب الباردة، بلاد سُميت بزائير سابقاً حُكِمت بالنظامِ الغني برئاسة موبوتو (1965 -97) وتحمّلت مِن قِبل الآخرين كالولايات المتحدة؛ لأنها اعتبرت كحليف حيوي مناهض للشيوعية في وسط أفريقيا. موبوتو كان قادراً على إبْقاء نوع من السيادة المحلية على البلاد؛ لأنه استعمل قوّاته المسلَّحة التمويل بشكل جيد (مدعومة من قبل الصادرات في

المعادن والنفط) لقَمع أيّ شكل للمقاومة والاضطرابات. تغير هذا بعد وفاته عام 1997، أثناء وجوده في المنفى بالمغرب.

مع ذلك، حتى الدول القوية، مثل الولايات المتحدة، تتطلب النضال مع البني التحتية الراسخة والهياكل الإدارية؛ من أجل ممارسة السيادة ذات السيطرة الكاملة. السيطرة على الهجرة، إحدى هذه القضية، وخاصة فيما يتعلق بالحدود الأمريكية المكسيكية، التي لا تزال تشكل مشاكل للسلطات الاتحادية. دوريات الحدود الأمريكية، رغم الاستثمارات الإضافية في الأفراد والمركبات والمعدات الحسية، والصراعات على أساس يومي لتنظيم حركة الناس عبر ريو جراندي والمناطق الصحراوية في أمريكا الجنوبية-الغربية. في ضوء هذه الصعوبات، خلق المواطنين الأمريكيين جماعات أهلية مثل مشروع "رجل الساعة" للقيام بدوريات، ومتابعة أولئك الذين عازمون على دخول الولايات المتحدة بصورة غير شرعية. هذه المجموعة، مع ذلك، ليست ببساطة معنية بمخاوف الهجرة ولكن بأصوات الولايات الأمريكية الناطقة باللغة الإنجليزية، والتحدي المتزايد الذي تشكله الجماعات الناطقة بالإسبانية في الجنوب والغرب. **رابعاً**، الأحزاب الأخرى عندما تحترم مبدأ عدم التدخل، فإنها تعترف صراحة بالسيادة. وضعت فكرة، من قبل القاضي السويسري إمريتش دي فاتيل، أن الدول يجب أن تكون قادرة على إدارة شؤونها الخاصة دون تدخل من قوى خارجية، وهي عنصر حيوي للبنية السياسية الحالية. بالنسبة للدول الخارجة من ظل الاستعمار الأوروبي، كان لهذا أهمية خاصة في تيسير إنشاء حكومات ما بعد الاستعمار. ومع ذلك، الإدارات الأميركية والسوفيتية، في كثير من الأحيان، تتدخل في شؤون الدول الأخرى، وخاصة تلك الموجودة في ما يسمى بالعالم الثالث، سواء في شكل الغزوات العسكرية، والحصار

الاقتصادي، والتغلغل الثقافي، والتهميش السياسي، و/أو العقوبات. على سبيل المثال، غَزت الولايات المتّحدةَ جمهورية الدومنيكان في 1965 وزعزعتْ تشيلي في 1973؛ لأنها خشيت ظهور الحكومات الاشتراكية الأخرى في الأمريكيتين بعد التعزيز الناجح لثورةِ 1959 الكوبية المرتبطة بقيادةِ فيديل كاسترو. أرسلَ السوفييت الدبابات إلى بودابست في 1956 وثانيةً إلى براج في 1968 لكي يَسحق الحكومات الإصلاحية. الدافع وراء البنيان الجيوسياسي للحرب الباردة كان أحد الاحتواء المكاني، والسعي، بالتالي، إلى تقييد حركة الناس والأفكار، والموضوعات، خاصة مصدرها (في الحالة الأمريكية) من الاتحاد السوفيتي وحلفائه.
في المجالات الأخرى للحياة الدولية، العديد من الدول قد شجعت تنشيط تأهيل مبدأ عدم التدخل، والتطورات في مجال حماية حقوق الإنسان يشهد بذلك. المجتمع الدولي، المتمثل في العضوية الدائمة في الأمم المتحدة، لم يستجيب دائماً بهذه السهولة لدليل انتهاك حقوق الإنسان واسع النطاق، والإبادة الجماعية في بعض الأماكن مثل دارفور (السودان) على الرغم من التحريض من جماعات الضغط والمشاهير مثل جورج كلوني، ودول أخرى خارج المنطقة.

بعض الدول أكثر قدرة على ممارسة السيادة الفعلية، بمعنى أنهم يدعون القدرة على التحكم وإدارة الأراضي الوطنية، وتنظيم تدفقات المال، والناس والسلع والأفكار، و/أو التكنولوجيا. يمتلك الآخرين قدرات أكبر تتجاوز الحدود الإقليمية مثل الولايات المتحدة والصين، وقادرة، من ثم، على مباشرة العلاقات المعولمة حقاً. هذه القدرة على التدخل والتعامل مع الدول الأخرى والمجتمعات الأخرى، ومناطق أخرى، وبالطبع معترف بها، من قبل بعض المفكرين الجيوسياسيين السابقين. حقبة

ما بعد كولومبوس، كما لوحظ هالفورد ماكيندر، كان من المرجح أن تتسم العلاقات بكثافة أكثر كما أدركت الدول التي يتم ضغطها على العالم من خلال التقنيات الجديدة بما في ذلك النقل. أصبح ضغط الوقت مساحة أكثر حدة، ومصطلح العولمة قد استخدم على نطاق واسع لتغليف تلك التحولات في التجربة الإنسانية بغض النظر عن الجدل حول كثافته الجغرافية ودلالته.

البنيان الجيوسياسي في عصر العولمة المكثف

إذا أردنا الفهم بشكل كامل كيف أن السياسات الجغرافية العالمية قد تغيرت منذ عهد ماكيندر، فنحن بحاجة إلى دراسة كيفية الدول، من بين أمور أخرى، قد استجابت، قاومت، نظمت العمليات المرتبطة بالعولمة. إذا كان قد تم انشغال الفكر الجيوسياسي التقليدي بالدول والحظوظ المتغيرة للإمبراطوريات الأوروبية، ثم الكتابات الأخيرة الأكثر استكشافاً لدور الجهات الفاعلة الغير الحكومية، والشبكات، والمنظمات الإقليمية، والشركات العالمية، والمنظمات الحكومية الدولية. بينما الدول ومفاهيم مثل السيادة لا تزال بالغة الأهمية؛ شبكة من الترابط تغير العلاقات الدولية وترافق الجغرافية العالمية. من الشائع، الآن، لقراءة تلك الدول التي تمتلك حدود قابلة للاختراق، ويتم التعبير عن هذا الحكم بطريقة أكثر عالمية ومتعددة المراكز والمؤسسات كالبنك الدولي، والأمم المتحدة والمؤسسات الإعلامية العالمية، ومنظمة التجارة العالمية، تلعب أجزائها في تشكيل السلوك العالمي.

مفهوم "الكثافة" بالغ الأهمية؛ بسبب الأدلة المتزايدة على أن الدول اضطرت إلى التكيف مع المزيد، أكثر من أي وقت مضى، من القضايا والتدفقات التي تمتلك القدرة على تجاوز الحدود الدولية والسيادات الحصرية. إن القائمة ستضم بلا شك

تغير المناخ العالمي، وحقوق الإنسان، وتهريب المخدرات، وشبح الفناء النووي. على مدى السنوات الستين الماضية، وشكل معين من أشكال النظام العالمي قيل أنه قد ساد بعد هزيمة اليابان وألمانيا في عام 1945.

برعاية الولايات المتحدة المنتصرة وحلفائها بما في ذلك بريطانيا، قد اتسمت بثلاث ميزات رئيسية للتطوير: الاقتصاد الرأسمالي العالمي، وإنشاء الأمم المتحدة، وتعزيز الديمقراطية الليبرالية. وكان للولايات المتحدة دور فعال في خلق نظام اقتصادي جديد، يقوم على إنشاء مؤسستين: صندوق النقد الدولي (IMF) والبنك الدولي. ومن شأن هذه الهيئات، والتي يعتبر الأول منها في بريتون وودز بولاية نيوهامبشير، في عام 1944، تحقيق الاستقرار الاقتصادي الدولي وتوفير الأموال اللازمة لإعادة الإعمار بعد الحرب (المربع 7).

مربع 7. بريتون وودز: نهاية نظام اقتصادي دولي؟

كان الهدف من نظام بريتون وودز يتمثل في إدارة العملية النقدية الدولية لإنشاء القواعد التي تحكم العلاقات التجارية والمالية ما بعد الحرب. كان شبح الأشكال العدوانية القومية الاقتصادية مُبعد من هذه العملية. في قلب هذا النظام كان 44 دولة قد حضروا مؤتمر الأمم المتحدة للشؤون النقدية والمالية في يوليو 1944.

وبمجرد أن تم التصديق عليها في عام 1946، كان على كل بلد أن تقبل بأن سعر صرف عملتها سيبقى ضمن قيمة ثابتة، وربط ذلك بأن صندوق النقد الدولي يمكن أن يساعد على تعزيز وإدارة الاستقرار المالي العالمي. في عام 1971، نظام العملات الثابتة انهار، وعلقت الولايات المتحدة التحويل من الدولار إلى الذهب.

بعد عام 1971، العملات الدولية لم تعد مرتبطة بأسعار الصرف المعينة والتدفقات المالية الدولية المتزايدة. ظهر عدد من مدن العالم، مثل نيويورك وباريس، ولندن، كمحاور رئيسية لمرحلة ما بعد بريتون وودز.

ثانياً، كان إنشاء الأمم المتحدة في عام 1945 دوراً أساسياً في مساعدة إدارة وتنظيم سلوك الدول في عالم ما بعد الحرب. لعب ميثاق الأمم المتحدة دوراً رئيسياً في وضع قواعد السيادة فضلاً عن التدخلات الأخرى ،كالاتفاقية العامة للتعريفات الجمركية والتجارة، التي سعت إلى تعزيز التجارة الحرة العالمية. ثالثاً، تعزيز الديمقراطية الليبرالية من قبل الولايات المتحدة ، باعتبارها النظام المفضل للتعبير السياسي، حاسما في إضفاء شرعية دورها في النضال من الحرب الباردة، التي تلت ذلك. يشترك في ذلك الاتحاد السوفيتي والصين الذين يروجون علنا للثورات الاشتراكية. كنتيجة لانهيار الاتحاد السوفيتي في 1991 وهبوطِ الأنظمة الاشتراكية في أوربا الشرقية، وفي مكان آخر، ارتبطت المؤسساتُ بالأثر الاقتصادي والسياسي للولايات المتحدة، وتَنبّأتَ عملياً، ودعت لتفضيلِ التطور الرأسمالي العالمي المستند على التجارةِ الحرة، الأسواق المفتوحة، والاستثمار الأجنبي المباشر (مربع 8). سهّلتْ الشركاتُ العالميةُ تعزيزُ مثل هذا المشهد الطبيعي الاقتصادي العالميِ خلال الأنشطة الاستثمارية وإنتاجها.

مربع 8. من يالطا إلى برلين: انقلاب على الحدود السياسية الأوروبية

في فبراير 1945، شارك الاتحاد السوفيتي، والولايات المتحدة، وبريطانيا في اجتماع في منتجع الكرم بيالطا. هذا المؤتمر، والذي انطوى على ستالين، روزفلت، وتشرشل، قرر بشكل فعال المصير الأوروبي لما بعد عام 1945. كانت النتائج الرئيسية: الاتحاد السوفييتي يود الانضمام إلى الأمم المتحدة في مقابل منطقة عازلة في أوروبا الشرقية والوسطى؛ فإن السوفييت أعلنوا الحرب على اليابان. أن ألمانيا والنمسا سيحتلان ويقسما إلى أربعة قطاعات، وتدار من قبل الثلاثة المشاركين في المؤتمر بالإضافة لفرنسا. أن ألمانيا يجب أن تدفع التعويضات، وسمح لدول مثل إستونيا ولاتفيا بالبقاء تحت الاحتلال السوفيتي.

يستغرق الأمر 44 عاماً أخرى قبل أن السياسات الجغرافية الأوروبية تتغير جذريا بانهيار نظام ألمانيا الشرقية والحكومات الشيوعية الأخرى في أوروبا الشرقية والوسطى. كان تفكك جدار برلين (تم بناؤه في 1961) واحدة من أكثر لحظات لا تنسى من ذاك التحول. بحلول نهاية التسعينات، وتفكك الاتحاد السوفييتي، كانت الحكومات الشيوعية في أوروبا الشرقية السابقة انضمت إلى الاتحاد الأوروبي (EU) ومنظمة حلف شمال الأطلسي (الناتو)، وكانت روسيا قد شكلت شراكات جديدة مع كل من الاتحاد الأوروبي ومنظمة حلف شمال الأطلسي.

تداعيات الدولة في عصر العولمة المكثفة تم مناقشتها كثيراً. بالنسبة للبعض، وقد تفوقت الدولة بهذه المطالب المكثفة من النظام الاقتصادي والسياسي العالمي. المؤسسات الاقتصادية مثل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي قادرة، ولاسيما، في أفريقيا وجنوب الصحراء الكبرى وآسيا، على ممارسة سيطرة كبرى على الإنفاق الحكومي والسياسات الاقتصادية الكلية، حيث المساعدة المالية عندما طلبت الدول ذلك. وفرضت ما يسمى ببرامج التكيف الهيكلي (SAP) والشروط المرفقة، التي قد تشمل المطالب التي خفضت الإنفاق العام الحكومي أو تخفيف القيود على الاستثمار الأجنبي. خلال الحرب الباردة، كانت هذه الترتيبات الاقتصادية الدولية والتداعيات الجيوسياسية عن المنظمات الدولية تهيمن عليها الولايات المتحدة كصندوق النقد الدولي ذو سيطرة ونفوذ أكبر على المناطق كغرب أفريقيا، التي تعتبر مهمة من الناحية الاستراتيجية للموارد الطبيعية النفط والغاز الطبيعي.

وقد أشار الجغرافي الماركسي ديفيد هارفي إلى "التراكم بالامتلاك" لتسليط الضوء على الطريقة التي سهلت للمؤسسات الدولية الوصول إلى أسواق وموارد العالم الثالث. في مناطق أخرى من العالم مثل جنوب شرق آسيا، تم توجيه القروض الدولية تجاه الدول التي تعتبر حلفاء في النضال ضد الطموحات السوفيتية و/أو المدعومة بالاشتراكية الصينية. بلدان مثل كوريا الجنوبية وماليزيا كانوا المستفيدين في هذا الصدد، وخصوصا خلال حرب فيتنام. خشي الإداريين الأمريكان، خاصة،

أنه إذا سقطت فيتنام للقوات الشيوعية ثم الدول المجاورة الأخرى سيكونون أيضاً، عرضة للتدخل الاشتراكي.

معلقون آخرون يؤكدون أن المنظمات الاقتصادية الدولية مثل صندوق النقد الدولي أو الشركات العالمية تعتمد على علاقتها مع الدول، وإن كان إحداها قد تم تحويلها من قبل التدفقات والشبكات العالمية. أنشأت الدول، في نهاية المطاف، النظام الاقتصادي والسياسي في مرحلة ما بعد الحرب، وكانت الولايات المتحدة الأكثر أهمية في هذا الصدد. وعلاوة على ذلك، الملكية، والضرائب، وقوانين الاستثمار على حد سواء تنظم وتحمي أنشطة الشركات العالمية. مفهوم "دولة تحولت 'يساعد أكثر، بمعنى أنه يمكن استخدامه لتسليط الضوء على طرق العولمة التي غيرت بها "الدولة الراهنة"، بما في ذلك النظام السياسي العالمي. كما رأى الجغرافي الاقتصادي بيتر ديكنز، لا تزال الدول تعمل على تشكيل الأنشطة التجارية والاقتصادية المحددة، وتنظيم داخل وعبر الولايات القضائية الوطنية. ومن المفارقات، هناك المزيد من الدول الآن، أكثر من أي وقت مضى، في الوقت الذي يرى فيه بعض المراقبين ويتوقعوا زوال الدولة؛ كنتيجة مباشرة للعولمة المكثفة.

الآثار المترتبة على السياسات الجغرافية، عميقة. من جهة، شهد انتهاء الحرب الباردة دول جديدة ومنظمات إقليمية مثل سلوفينيا ورابطة الدول المستقلة (CIS) على التوالي. وقد أبرز انهيار الاتحاد السوفيتي، والإدماج التدريجي لروسيا والصين في الهيئات الاقتصادية الدولية مثل منظمة التجارة العالمية (WTO) كَمْ شيوعية سابقة/ بلدان اشتراكية مُضَمَّنة ضمن الشبكات والتراكيب قد ارتبطت بالتطور الرأسمالي العالمي. جنباً إلى جنب مع الديمقراطية على نطاق واسع في أوروبا الشرقية وأمريكا اللاتينية وأجزاء من آسيا وأفريقيا والسياسات المرتبطة بالليبرالية

الجديدة، كالأسواق المفتوحة والاستثمار الأجنبي المباشر والهيمنة. رؤية حررت الجغرافيا العالمية، والكرة الأرضية أضحت كمنطقة خالية من الحدود، والتي تشجع تدفقات الاستثمار والسلع. كان القصد من الدولة لتكون وسيطاً من رجال الأعمال وبعض الشركات الكبرى في الولايات المتحدة مثلما كان إنرون، عند نقطة واحدة، وتكون قادرة، أيضاً، على الاستفادة الكاملة من النقص النسبي في الهياكل القضائية والمالية. خلال التسعينات، المعلقين مثل فرانسيس فوكوياما أشادوا بانتصار هذه الأفكار والممارسات المرتبطة، التي ترعاها الولايات المتحدة، بالليبرالية الجديدة والديمقراطية.

من جهة أخرى، كان من الواضح أيضاً أن الديمقراطية في شكل إجراء انتخابات حرة وممثلين منتخبين، لم تكن القاعدة في جميع أنحاء العالم، بما في ذلك الصين وأفريقيا وجنوب الصحراء الكبرى، وأجزاء من العالم الإسلامي. حتى عندما ظهرت الديمقراطية في أماكن مثل مصر والجزائر، على سبيل المثال، قد لا تكون موضع ترحيب من قبل جميع المواطنين وجماعات المصالح، بما في ذلك جيوش تلك البلدان. وعلاوة على ذلك، تلك البلدان التي اعتبر البعض أنها ديمقراطية مختلفة جذرياً عن النماذج الأوروبية والأمريكية الغربية. وقد اجتذب الاعتماد المتزايد على الليبرالية الاقتصادية الجديدة، قدراً كبيراً من المعارضة في العديد من بلدان العالم الثالث، فضلا عن أوروبا الغربية والولايات المتحدة.
إنّ ظهور حركة ضد العولمة، وربما إحدى أكثر التوضيحات الواضحة، تلك المقاومة للوجود المهيمن للولايات المتحدة، وأشكال ينادي بها النظام العالمي الليبرالي الجديد. غالباً ما توصف هذه الحركة، التي هي متنوعة بشكل لا يصدق،

ب"الجديدة"؛ لأن هذه الهيئات نداء إلى المجتمعات العابرة للحدود، وبالتالي تسعى إلى هدم عالم يقوم على الأراضي، وتحدها الحدود الدولية. هذه التجمعات، في كثير من الأحيان، لا تسعى إلى إقامة تمثيل سياسي رسمي في أي بلد من البلدان.

وقعت معظم المظاهرات المناهضة للعولمة، الأكثر بروزاً، في مدن مثل كولونيا، جنوه، لندن، وسياتل. وبالتزامن، في الأغلب، مع اجتماعات منظمة التجارة العالمية أو جي 8 (G8)، والنقاد المناهضين للعولمة يغلطوا الطريقة الليبرالية الجديدة التي التهمت الحدود الوطنية، وبالتالي تتعرض المجتمعات المحلية لتدخل غير مرغوب فيه من الشركات العالمية والمؤسسات الدولية، و/أو القوى المهيمنة. في جوهره يكمن القلق من أن أنواع معينة من التدفقات تغمر الأماكن والمجتمعات المحلية، وأن الحكومات الوطنية غير قادرة أو مستعدة للتخفيف من تلك التدفقات؛ لأنها ببساطة تتقاطع. واقع القول واحد من الأمثلة الأكثر دراماتيكية للمسعى المناهض للعولمة، كان في سياتل في نوفمبر عام 1999. في وقت يتزامن مع اجتماع منظمة التجارة العالمية، وينحدر 60.000 شخص في مدينة ساحل المحيط الهادئ لتسجيل شكاواهم ضد عولمة الشركات، واضطرت الولايات المتحدة إلى استخدام قواتها العسكرية من أجل استعادة النظام المدني. استمرار الاحتجاجات في جميع أنحاء العالم، وفي عام 2001 تم تأسيس المنتدى الاجتماعي العالمي في البرازيل لتوحيد وتنسيق مقاومة هذه الأشكال الليبرالية الجديدة للعولمة. حضر أكثر من 100.000 شخص اجتماعات المنتدى في الهند والبرازيل في عامي 2004 و 2005 على التوالي.

لا تزال الحركة المناهضة للعولمة متنوعة، على الرغم من أنها الآن مشغولة جزئياً بالحركات المناهضة للحرب الأخرى، في مقاومة الحرب على الإرهاب واحتلال

العراق وطعن نشاطاتها، وعطلت النظام الاقتصادي والسياسي القائم على الليبرالية الجديدة. وقد عززت هذه المبادرات مزيدا من الشروع في حركة "احتلال"، التي تم إطلاقها في أكتوبر 2011، حركة احتجاج دولية ضد عدم المساواة الاجتماعية والاقتصادية (مربع 9). مستوحاة من حركة "الربيع العربي" وحركة "الغضب" في إسبانيا والبرتغال، لقد كان هناك اهتمام متزايد في تسجيل احتجاج واسع النطاق، ضد تركيز الثروة العالمية وخصخصة الجغرافيا السياسية العالمية.

وكانت كلمة "احتلال" مهمة؛ لأنها كانت بمثابة حركة احتجاج جغرافية للغاية. في حين كان هدفها الدعوة إلى إعادة تقويم للعولمة الليبرالية الجديدة، والتفاعل في النظام المالي الدولي، كما كان أيضاً تحدياً مكانياً. وفي الشهر نفسه، أنشأ المتظاهرين معسكر احتجاج خارج كاتدرائية سانت بول في مدينة لندن. وكان اختيارها متعمدا؛ القصد منها القرب من المركز المالي في لندن، لتسليط الضوء على علاقة وثيقة بين الحكومة البريطانية والقطاع المصرفي الدولي، وأيضاً لطرح الأسئلة حول ما يجب أن يفعله دور المجتمع المدني والقطاع الثالث (بما في ذلك المنظمات الدينية) في خضم الأزمة المالية والتقشف.

مربع 9. مكان الاحتجاج: حديقة زكوتّي، مدينة نيويورك

حديقة زكوتي، أو منتزه ميدان الحرية، كان يمكن أن يكون غير معروف لمعظم المواطنين، باستثناء سكان نيويورك وزوار تلك المدينة. تقع في مانهاتن السفلى، كانت قد تضررت في

خضم هجوم 11 سبتمبر 2001، على برجي مركز التجارة العالمي. سميت بعد أن تم شراء الحديقة من قبل شركة في عام 2006، استضافت سلسلة من الأحداث التذكارية في الشهور والسنوات بعد 11 سبتمبر. بعد عقد من الزمان، كان موقع حديقة زكوتي، نوع مختلف تماما من الأداء الجيوسياسي، واحدة في مدينة نيويورك (والولايات المتحدة) لم يتم تذكرها كضحية للعنف، ولكن كمنتج من عدم المساواة في جميع أنحاء العالم.

يوم 17 سبتمبر عام 2011، وتجمع المتظاهرون في الحديقة لإطلاق حملة "احتلوا وول ستريت". وكان اختيار الموقع ليس فقط بالقرب من المركز المالي في نيويورك ولكن أيضا اختيار جيد بمعنى كونها حديقة مملوكة للقطاع الخاص، التي لا يمكن إغلاقها من قبل سلطات المدينة. أصحاب الحديقة، بروكفيلد للعقارات، نيويورك المدينة الحكومية، وإدارة شرطة نيويورك، وجدوا أنفسهم يخوضوا سلسلة من المعارك القانونية والمادية؛ لتقييد الوصول إلى الحديقة ومنع إقامة الخيام والمنشآت في الحديقة نفسها. لا تزال هذه القيود في المكان المناسب لهذا اليوم ولكن الاحتجاجات أثارت الجدل الوطني والدولي، وألقي القبض على أفراد بارزون مثل نعومي وولف، في حين أعربت عن تأييدها للمتظاهرين.

العولمة الليبرالية الجديدة، الحرب على الإرهاب، و "النوافذ المحطمة"

كيف يمكن أن تكون العولمة الليبرالية الجديدة مرتبطة بالحرب على الإرهاب؟ لقد اقترح بعض المعلقين أن تشبيه "النوافذ المحطمة" قد ساعد في تفسير هذا الارتباط. في حين اشتداد العولمة الليبرالية الجديدة، مع حكومات مثل الولايات المتحدة وبريطانيا، وإعطاء تركيز أكبر من أي وقت مضى إلى سياسات مراعية لضريبة العمل، بجانب خفض تدخل الدولة في القطاع العام، وإمكانية الوصول إلى الأسواق، كما عجلت الحرب على الإرهاب زيادة الإنفاق في الجيش والقطاعات الأمنية.

نتيجة لذلك، فقد تم التعبير عن قلقها من أن التمييز بين المحلي والدولي يتزايد على نحو واضح من جانب الممارسات الأمنية العابرة للحدود الوطنية، والتي تهدف إلى تأمين المساحات الاقتصادية والسياسية في مدينة لندن و وول ستريت، وفي أماكن مثل أفغانستان والعراق. وبعبارة أخرى، هناك اهتمام متزايد في كيف يمكن للناس، بغض النظر عن المكان في حد ذاته، آمنة بقوات الشرطة وتنمو مالياً. بطبيعة الحال، الأماكن لا تزال ضرورية، بمعنى أن طبيعة ومدى عمل الأمن والمراقبة لا تتفاوت، و بعض الهيئات أكثر خطورة من غيرها، لكن بشكل عام العولمة أصبحت أقرب إلى مشروع الأمن العالمي (مربع 10)

مربع 10. هل الرئيس أوباما (سراً) يدعم حركة احتلوا؟

دعونا نتذكر كيف وصلنا إلى هنا. قبل فترة طويلة من الركود وفرص العمل، بدأ التصنيع ترك شواطئنا. تكنولوجيا الأعمال التجارية أكثر كفاءة، ولكن أيضاً جعل بعض الوظائف عفا عليها الزمن. رأى الناس في أعلى دخولهم ارتفاع لم يسبق له مثيل، ولكن معظم الأميركيين يعملون بجِد، كافحوا مع التكاليف التي كانت تنمو، ورواتبهم التي لم تكن، والديون الشخصية التي ظلت تتراكم.
في عام 2008، انهار منزل البطاقات. علمنا أن الرهن العقاري قد بيعت للأشخاص الذين لا يستطيعون تحمل النفقات أو فهمها. وكانت البنوك تجعل الرهانات والمكافآت ضخمة بأموال الآخرين. وشاهدت المنظمات طريقا آخر، أو لم يكن لديها السلطة لوقف السلوك السيئ.
إنه من الخطأ. غير مسؤول. اقتصادنا دفع في أزمة وضع فيها ملايين العاطلون عن العمل، أثقلنا بمزيد من الديون، وتَركنَا أمريكان أبرياء مشغولين ليحملون الحقيبة.. في ستة أشهر، قبل أن توليت منصبي، فقدنا ما يقرب من 4 ملايين وظيفة. وفقدنا 4 ملايين أخرى، قبل أن كانت سياساتنا في التأثير الكامل.
الرئيس باراك أوباما، خطاب دولة الاتحاد،2012

علماء الاجتماع، في السياسات الجغرافية والميادين ذات الصلة كالعلاقات الدولية والدراسات الأمنية، يروا أن البني الجيوسياسية الراهنة تعتمد على الإدارة المكانية بدلا من الاحتواء. لذلك، ومن ثم، تقديم تأمين العولمة الليبرالية الجديدة يعتمد على أشكال أكثر كثافة من التدخل في حياة المواطنين في جميع أنحاء العالم. اقتراح واحد يتمثل في أن مصطلحات مثل "النوافذ المحطمة"، في الأصل تستخدم لتبرير مشروع إصلاح الحياة الحضرية في الثمانينات والتسعينات بنيويورك، وتستخدم بشكل عام لتجادل المزيد من الحكم، وتحتضن المراقبة والشرطة. في مسابقة نيويورك الأصلية، كانت فكرة أن أي شكل من أشكال السلوك الإجرامي اللازم معالجتها، مثل الكتابة على الجدران. إذا فشلت سلطات المدينة لمواجهة "أشياء صغيرة"، فالمجرمين يظنوا أن "أشياء أكبر" مثل السرقة والاعتداء العنيف لن يتم متابعتها، وكانت "نافذة محطمة" لزاماً أخذها على محمل الجد.

هذا التشبيه مكاني للغاية. كان هناك مناطق من المدينة احتاجت الحكم الأعظم بما في ذلك، في سياق نيويورك، ومترو الأنفاق. ومع ذلك، كان هذا التشبيه أيضاً قوياً؛ لأنه سلط الضوء على التدفق وكذلك الحركة. الأشخاص المسؤولين عن تلك 'النوافذ المحطمة" كان لابد من معاقبتها وملاحقتها. والأسوأ من ذلك، أن عدم التصرف في منطقة واحدة من المدينة قد يشجع غيرها من المناطق لتواجه أيضاً "النوافذ المحطمة". لذا "الدول الضعيفة" والأراضي التي "حكمها رقيق"، وحتى في أماكن مثل نيويورك، على وجه التحديد، تنزعج لأنها قد تعمل على زعزعة وتعطيل مناطق أخرى. من شوارع نيو أورليانز، في أعقاب إعصار كاترينا عام 2005، إلى أزقة بغداد، وتراصف النوافذ المكسورة/ ويقال عدم التسامح، قد مكنت أنواع جديدة من الأعمال التجارية وممارسة الأمن، التي تدعي نعومي كلاين بأنها تمكن

الشركات والدول للاستثمار، والتدخل، وتنظم من خلال الشرطة والضرائب والمراقبة. تحولت بعد غزو العراق بسرعة، إلى فرصة عمل أمنية للشركات، والشركات التي لا تعد ولا تحصى بما في ذلك شركة هاليبرتون، شركة بكتل، وشركة بلاك ووتر. وقدمت مدن كنيويورك ولندن عمل أكثر أماناً، والمزيد من الأعمال التجارية الودية، بما في ذلك السياح والزوار.

على المدى الطويل، يبدو أننا نشهد بتهجين نوعين من الأبنية الجيوسياسية. من جهة، تقوم على الاحتواء المكاني (كما تجسدت في الحرب على الإرهاب وغزو وإخضاع الدول الضعيفة أو تهديدها) ومن جهة أخرى، إحدى دعائم الإدارة المكانية. العولمة الليبرالية الجديدة، مع التركيز على الوصول إلى الأسواق والخصخصة، يشجعوا كلا الخيارين. كان غزو أفغانستان والعراق على حد سواء أعمال من الاحتواء المكاني (لمنع انتشار المزيد من العمليات الإرهابية)، وأعمال الإدارة المكانية (لإصلاح السكان والدول). كما كشفت هجمات 11 سبتمبر عام 2001 لقطاع الأعمال والنخب الحكومية للولايات المتحدة، كان يُنظر إلى تفاعل التدفقات، والشبكات، والتنقل، كدافع في التسعينات، وكذلك الآن في الجزء المبكر من القرن الحادي والعشرين، إنها بطبيعتها أكثر تهديداً وإحباطاً.

الذي من المحتمل أن يظهر في المستقبل هو التشديد على الإدارة المكانية، وفكرة الوجود، ونحن نشهد بالفعل الآن، التدخل من جانب شركاء الدولة الذين أعربوا عن ثقتهم في مجموعة من المواقع والأماكن. هذا له آثاره المحلية والخارجية. محلياً، مع تراجع الدولة على نحو متزايد من توفير القطاع العام، فمن المرجح أن التوسع سيكون في مجالات مثل الشرطة والمراقبة. والمجتمعات الحضرية الفقيرة تتحمل

العبء الأكبر من هذا التدخل؛ لأنهم هم الذين يرجح أن يكونوا الحكم، الضار لرجال الأعمال في الدولة.

التقنيات والبيانات (على سبيل المثال "البيانات الكبيرة" وتقنيات التعلم الآلي) الجديدة، ستيسر المزيد من التدخل، في كثير من الأحيان، باسم الحكم الأكثر كفاءة. السكان مُسحوا على نحو متزايد، وتم استهدافهم تبعاً للاتجاه الديموجرافي والاجتماعي والاقتصادي. خارجياً، الأماكن التي تفتقر إلى حكم قوي من المرجح أن ينظر إليها على نحو متزايد؛ تهدد البنى الجيوسياسية السائدة: أماكن مثل أفغانستان، والتي تعمل على احتضان التهديدات، أو حتى الأحياء الفقيرة في المدن الأمريكية، والتي تمثل فضاء غير محكوم.

الاستنتاجات

إن الكلمة المرجح سماعها في المستقبل هي 'الصمود'. إذ بالقياس إلى 'النوافذ المكسورة" واستمرار"تناشد" التقشف، فهذا سيكون له آثار على مدى تأثير الأبنية الجيوسياسية، على الحياة اليومية للمواطنين. مع اشتداد الليبرالية الجديدة، على الرغم من الاحتجاجات في أعقاب الأزمة المالية العالمية وتأثيرها على المواطنين في جميع أنحاء العالم، لذلك يستمر الضغط الممارس على الحكومات والدول للحد من الإنفاق العام، وجعل أنفسهم، أكثر من أي وقت مضى، أكثر جاذبية للوصول إلى الاستثمار العالمي والعمل. في المملكة المتحدة، والولايات المتحدة، على سبيل المثال، أدى ذلك إلى الضغط على الحكومات لكبح جماح الإنفاق، وتشجيع المواطنين على وضع استراتيجيات أكثر مرونة، ووضع المسؤولية على عاتقهم للتحضير بشكل أفضل للمزيد من الأزمات والفوضى.

في قارة أوروبا لم يكن هناك رد فعل غاضب من المجتمع المدني، بشأن هذا التقشف في القطاع العام والنداءات من أجل صمود المواطن. دول مثل اليونان وجدوا أنفسهم في القيود المالية المعقدة التي تنطوي على مؤسسات الاتحاد الأوروبي، وقد شهدوا، على نطاق واسع، الاحتجاج وتعميق الفقر لدرجة أن القطاع الخيري تمت زيارته كخطوة لتسديد نقاط الثغرات من قبل الدولة المنسحبة. ومما يزيد هذا التراجع والتقشف، التحول الجيوسياسي الإقليمي في شمال أفريقيا قد شجع على المزيد من الهجرة، عن طريق البحر الأبيض المتوسط، إلى دول مثل إيطاليا ومالطا واليونان، وبذلك تكشف عن بعض من السمات الأساسية للبنية الجيوسياسية السائدة في الوقت الذي يتم السعي، من خلال الحكومات والمؤسسات الدولية، لتنظيم التدفقات والأراضي.